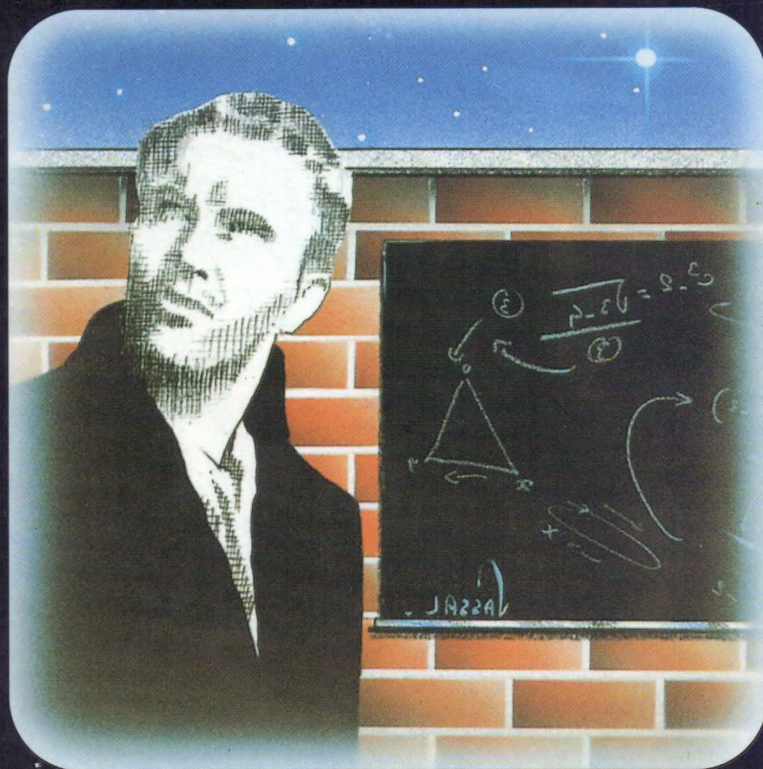


أرسين لوبيش

المعركة الأخيرة



مغامرات " ارسين لوبين "

نؤ الشؤصية الفؤة في اقؤام عالم الجريمة وكشف مرؤبها وتؤديمهم للؤالة . وصاحب المغامرات المؤيرة المعروف لملايين القراء في جميع أناء العالم . والذي ذاؤت شهرؤه ؤؤى ؤؤوقؤ على كل الشؤصيات البوليسية الؤى ؤصور الجريمة وؤؤل وؤكشؤ عن مرؤبها .

ؤؤؤ الروايات البوليسية الؤى ؤحمل اسم البؤل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مؤلؤ هؤا القرن والؤى ؤؤبها الؤاب الفرنسي " موريس لبلان " وقؤ لاؤؤ إؤبالاً عؤيماً من القراء وؤاصة المهؤمين بؤراسة الجريمة وؤؤلؤ ؤوافؤها وإؤاة اللؤام عن مرؤبها وتؤديمهم للماؤمة لينالوا الجؤاء الراء . لؤلك اؤؤلؤ رواياؤه وقصصه مكاؤة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهؤا البؤل (ارسين لوبين) يؤميز بالنبل والشرف والشهاؤة فهو لا يهؤف من مغامراؤه الى الثراء وكسب المال او للؤار والإنؤقام من خصومه . وإنما يؤرس حياؤه للؤشف عن الجريمة وؤعقب الجؤاة وتؤديمهم للؤالة .
إنه اللص الشريف الؤى يؤملئ قلبه بالؤب والؤير للناس .
وؤاصة البائسين والفقراء حيث كان يؤصهم بعطفه وإؤسانه ويؤبرع بكل ما يؤصل عليه من الأؤرياء البؤلاء والصوص الجشؤين للؤمعياؤ الؤيرية ومؤؤساساؤ البر والإؤسان .

وقؤ ؤؤؤى هؤا البؤل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الؤصوصيين في عصره في اورؤا وأمريكا ؤؤى أطلق عليه لقب الرجل ذى الألف وؤه هؤئة حيث كان يؤيبؤ التؤكر ويؤهر في شؤصيات مؤؤؤة .
فلا عؤب إن اؤؤلؤ رواياؤه مكاؤة عؤيمة في قلوب جميع القراء في كل أناء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعربة

المعركة الأخيرة

(٦)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونية - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب

وبأية وسيلة إلا بعد الحصول علي موافقة خطية من الناشر .

الفصل الأول

حين سمع "بابلوس" صوت "لوبيين" ذهب عنه رعدة الخوف التي كانت قد سرت في أوصاله وهمس قائلاً :

- إنني سعيد بلقائك .. كان في نيتي أن أبحث عنك .
فقال "لوبيين" في صوت ودود :

- حقا .. ! أكنت تنوي أن تبحث عني .. ؟ يا للمصادفة السعيدة .. !
لقد صدق من قال إن من القلب إلى القلب رسولا .. !

وذكر "بابلوس" مقابلة أخرى جرت بينه وبين "لوبيين" .. مقابلة كان فيها "لوبيين" أسيراً بين أيدي رجال العصابة والمسدسات مصوبة إليه.

وفي هذه المقابلة لم يقل "بابلوس" إنه سعيد بلقاء "لوبيين" وإنما رفع يده ولطمه على وجهه .. ومحال أن ينسى "لوبيين" هذه اللطمة .. ومحال أيضاً أن يصدق أن "بابلوس" كان حقيقة في هذه اللحظة سعيداً بلقائه . !

وقال "بابلوس" مردداً جملة في صوت متحشرج :

- نعم .. كنت أبحث عنك .. كنت أريد أن أتحدث إليك .

- ويظهر أنك كنت شديد التلهف إلى لقائي إلى درجة جعلتك تنطلق بالسيارة في حركة فجائية سريعة حتى خيل إلي أنك تركت وراءك نصفها الخلفي.

فقال "بابلوس" في صوت مرتعد :

- بل أسرع لأن ورائي مدفعاً رشاشاً .

ولم يقل "لوبيين" شيئاً .. ولكنه ضحك فصاح "بابلوس" قائلاً :

- أقسم إنني لا أكذب .. لقد صدر الحكم بإعدامي .. لقد أرسلتك إلى "والينو" ومعك المدية فاعتقدوا أنني على اتفاق معك وأنت اشتريت

إخلاصي .. لقد تقرر إعدامي .

فهز "لوبيين" رأسه وقال :

- ولهذا خطر لك أن تبحث عني وأن تذهب إليهم براسي حتى يصدر العفو عنك .. ولكن اعلم يا صاح أنني أكره أن أدفن مجزاً .. إنني أحب أن يودع رأسي وجسمي في قبر واحد .

فصاح "بابيلوس" متوسلاً :

- قلت لك إنني لا أحاول أن أخدعك .. إنني أصارحك بالحقيقة .. إنني أريد أن أعقد صفقة معك .

فقال "لوبيين" هازئاً :

- وبكم تشتري اللطمة التي أعطيتها لي بالأمس ..؟

- ألا تصدقني يا رجل ! قلت لك إنهم حكموا علي بالإعدام .. إنهم يعدون المدفع الآن لإطلاقه علي .. وأنت الرجل الوحيد في العالم الذي يستطيع أن ينقذني منهم . لقد لطمتك حقيقة بالأمس . ولكن الموقف إذ ذاك كان مختلفاً .. ومع ذلك فالطمني الآن إذا شئت .. الطمني مائة مرة بل ألف مرة .. ولكن انقذني منهم .. إنني على استعداد لأن أساعدك يا "لوبيين" إذا نسيت ما حدث بالأمس .. انس ما حدث واعف عني وانقذني منهم .. إن في وسعي أن أمدك بمعلومات خطيرة .. لا تقتلني ولكن اصغ إلي .. إنني أعلم أنك كنت تنتظرني لتأخذني للنزهة ولكن .. فقاطعه "لوبيين" بضحكة ساخرة أردفها بقوله :

- يظهر يا "بابيلوس" أنك مخدوع في نفسك .. أعتقد حقاً أن "لوبيين" يمكن أن يهتم بشخص مثلك .. إنني أطا أمثالك من الديدان الحقيمة عرضاً وأنا أسير في طريقي .. لقد كنت أعتقد أن هذه سيارة "داتش كيلمان" فأردت أن أنتظره فيها .. فصاح "بابيلوس" قائلاً :

- إذن فأنت تريد "داتش" ؟ إنك في حاجة إلى "داتش" أضعاف ما أنت في حاجة إلي .. اتفقتنا إذن .. سامهد لك السبيل إلى اقتناص "داتش"

ساذكر لك كل ما أعلمه.. متى يخرج .؟ ومتى يدخل؟ واين يذهب؟
بل إن في وسعي أن أساعدك على أن تقتنص كل رجل في العصابة .
استمر "بابيلوس" في حديثه محاولا أن يقنع "لوبين" بأنه صادق
النية فيما يقول . وهذا يابى أن يصدق اعتقادا منه بأنها حيلة يعمد
إليها اليوناني لينفذ نفسه من حكم الإعدام الذي أصدره ضده "لوبين"
نفسه .

كان "بابيلوس" يعلم من "امثولة اربول" أنه مقتول لامحالة .
فلما رأى "لوبين" خلفه ومسدسه مثبت في ظهره هداه ذهنه إلى هذه
الخدعة فأخذ يلقي إلى "لوبين" بمعلومات لا شأن لها حتى يخلي
سبيله.

صاح "بابيلوس" أخيرا وقد استولى عليه اليأس :
- لا تقتلني .. ولكن اصغ إلي بضع دقائق .. ساقول لك كل ما أعلم
فإذا رأيت أنني كاذب فيما أقول فاقتلني كالكلب .
قال "لوبين" في صوت هادئ :
- إن المقبرة التي أنوي أن أدفك فيها لا تزال بعيدة فيمكنك أن تتكلم
كما تشاء حتى نصل إلى بابها .!
وتكلم "بابيلوس" فقال :

- إن العصابة لا تنوي أن تشتغل بخطط الأطفال .. خطف الأطفال
مهنة خطيرة ولا داعي لها . إن عملنا في المستقبل سيكون الحماية ..
نقول لرجل مثل "انسلهيم" : «ادفع مبلغ كذا وإلا قتلنا طفلك ..» فإذا
دفع تولينا حماية الطفلة وإذا أبي قتلناها .. فهل تعتقد أن لإعادتك
"فيولا" إلى أبيها أية فائدة ؟ لا.. إنه سيضطر إلى مواصلة الدفع وإلا
قتلت .. لن نختطفها مرة أخرى لأن للخطف مشاقه وأخطاره .. ولذلك
كان أول ما فعلناه هذا الصباح أن اتصلنا تليفونيا بـ "انسلهيم" وقلنا
له : «ادفع المبلغ المطلوب وإلا لم تعد لك طفلة لكي ينقذها "لوبين" ..»

نعم.. فحتى من كان مثلك لا يستطيع أن يعيد الحياة إلى طفلة قتلت .
فابتسم "لوبيين" وقال :

- وهل تعتقد يا "بابلوس" أن مثل هذه الحكاية التافهة كفيلة بأن تجعلني أطلق سراحك؟ يجب أن تفضي إلي بمعلومات أهم من هذه .
فتقبضت يد اليوناني على عجلة القيادة وهتف قائلاً :
- سأخبرك بما تشاء .. سلني أجبك .

فقال "لوبيين" في صوت بارد :
- هناك سؤال واحد إذا أدليت إلي بجوابه عفوت عنك .

- وما هذا السؤال ؟

- من الرفيق الكبير ؟

فصاح "بابلوس" قائلاً :

- ولكن لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال .

- حقا .. ولماذا ؟..

- لأن الإجابة مستحيلة ..! لو كنت أعلم لما ترددت .. ليس في العصابة كلها من يعلم الجواب غير الرفيق الكبير نفسه بالتأكيد ..
و"الينو" لا يعرف .. و"كيلمان" لا يعرف .. والتليفون هو الوسيلة الوحيدة للاتصال به .. ولا يعرف رقم التليفون إلا شخص واحد .

فقال "لوبيين" في صوت يدل على العطف :

- وتكون سييء الحظ إذا لم تكن أنت هذا الشخص .! فصاح

"بابلوس" قائلاً :

- إنني لست هذا الشخص .. ولكني سأخبرك باسمه .. إنه .. يا إلهي! .. ما هذا .! وانطلقت من فم "بابلوس" صرخة تدل على الرعب والفرع .!

وارسل "لوبيين" بصره إلى حيث كان صاحبه ينظر فرأى سيارة تنهب الأرض في نفس الاتجاه .. وكانت نافذتها مفتوحة .. ومن هذه النافذة

تترامى للعين فوهة مدفع رشاش ١.

ادرك "لوبيين" الخطر الداهم فانبطح على وجهه في قاع السيارة.
وفي اللحظة التالية دوت الطلقات النارية وانهدل على المقعد الامامي
سيل من النار ..

* * *

اخذ زجاج السيارة يتناثر حول "لوبيين" ولكن لم تصبه رصاصة
واحدة من ذلك السيل الجارف الذي كان ينطلق من فوهة المدفع
الرشاش إذ كان المقعد الامامي الذي يجلس عليه "بابيلوس" هو هدف
المعتدين.

سكنت عاصفة الموت .. وشعر "لوبيين" بان السيارة اخذت تتلوى
يمينا ويسارا .. ولم تكد تمضي لحظات حتى اصطدمت اصطداما
عنيفا !

لبث "لوبيين" في مكانه تحت الانقاض لا يتحرك وقد استولى عليه
ذهول خفيف سمع في خلاله صرخات امرأة وصوت صفارة البوليس
وجلبة قوم ينادون ويصيحون .

ادرك "لوبيين" ان الانتظار لا يتفق وخطته فتحامل على نفسه وازاح
انقاض السيارة وخرج من بينها فرأى حشدا من الناس قد هرع إلى
المكان واحاط به إحاطة السوار بالمعصم .

كان لابد ان يشق لنفسه طريقا .. وان يبتعد عن هذا المكان بأسرع ما
يمكن . ولكن نظرات الجمهور جعلت تنتهبه في فضول شديد فوضع
يده على جيبه الخلفي وكانت هذه الحركة منه واضحة المعنى فانفض
الناس من امامه واوسعوا له طريقا يمر منه .

انطلق "لوبيين" وهو يوسع الخطى إلى الشارع الجانبي وانعطف في
اول طريق لقيه ليضلل شهود الحادث إذا أراد احد منهم أن يرشد
رجال البوليس إلى الطريق الذي يسلكه .

ومرت به سيارة استوقفها بإشارة من يده ووثب إلى داخلها دون أن ينتظر وقوفها وصوب مسدسه إلى السائق وهو يقول :

- استمر في طريقك وأسرع !.

أطاع السائق الأمر الذي صدر إليه من "لوبين" .. وأمن المسدس بعبارة أدق .. وقال :

- الست أنت "أرسين لوبين" ؟.

فدهش "لوبين" وقال : - وكيف عرفتني ؟.

فاجابه السائق في لهجة تدل على الارتياح :

- لقد عرفتك من صورتك التي نشرتها الصحف بالأمس .. وإني مسرور لأنك خرجت سليما من هذه المعركة كما اني مسرور لأنك انقذت تلك الطفلة المسكينة .

فقال "لوبين" : - اما أنا فمسرور لأنني قابلتك .

استرسل السائق قائلا :

- إني أكره "موري والينو" .. منذ بضع سنوات كان يفرض إتاوة على كل صاحب سيارة فمن أبى أن يدفعها نسفت سيارته ولكم أرهقني بهذه الإتاوة .

ولما بلغ "لوبين" المكان الذي ينشده قال للسائق :

- قف هنا .. وشكرا لك .

فقال السائق في ابتهاج :

- إني أحب أن أخدم رجلا مثلك .. فإذا احتجت إلي يوما من الايام فاتصل تليفونيا بمطعم كولومبيا .. تليفون رقم ٩٤٧٨٩ . إنني اتغدى هناك دائما .

قفز "لوبين" من السيارة بعد أن دس في يد السائق ورقة مالية من فئة العشرين دولارا وهو يقول :

- إذا احتجت إليك فاستدعيك بالتاكيد .

ولكنه لم ير ما يدعوه إلى الثقة المطلقة بهذا السائق فدخل محطة
السكة الحديد القريبة من المكان وخرج من بابها الخلفي ثم دار حولها
ونذهب إلى فندق استوريا عن طريق ملتو حتى يعتقد السائق أنه كان
ينوي السفر .

* * *

قال "فالكروس" يسأله :

- لقد عدت مبكرا فما الذي حدث ؟

فأشعل "لوبين" سيجارة وارتمى على المقعد وهو يقول :

- لا شيء .. وكل شيء .. لقد قتل رجل يدعى "بابلوس" إن اسمه لم
يكن مدرجا في القائمة ولكن العصابة قتلته . لأنها اعتقدت خطأ أنه
خانها .. فلما عرف أن حكم الإعدام صدر عليه أراد أن يفضي إلي بكل
ما يعلم .. ولكن صوت المدفع الرشاش كان أعلى من صوته فاضطر أن
يسكت ليتكلم المدفع !

فقال "فالكروس" :

- إنك تجاوزت بحياتك يا "لوبين" فيحسن بك أن تكون أكثر حذرا .

فقال "لوبين" وهو يبتسم :

- كن مطمئنا يا "بيل" فأني لن أموت إلا بعد أن اقتنص الرفيق الكبير ..
وبهذه المناسبة .. ألم تذكر لي أنك متكفل بجميع نفقات هذه العملية ؟
- بالتأكيد .. فكم تريد ؟

وأخرج "فالكروس" من جيبه دفتر الشيكات ولكن "لوبين" هز رأسه
وقال :

- لا أريد مالا .. ولكن أريد سيارة .. سيارة صغيرة الحجم عظيمة
السرعة فأني اعتقد مما سمعته من "بابلوس" أن حادثا مهما سيقع
عند بيت "انسلهيم" .. وقد تنفعني السيارة .

ولما أرخى الليل سدوله كانت السيارة الجديدة في انتظاره عند الباب فركبها وطار مسرعا إلى ميدان "ساتون" ولكنه لم يقف عند بيت "اسكل انسلهيم" وإنما وقف على مسافة قريبة منه حتى لا يلتفت إليه الأنظار .

لقد أنبأه "بابيلوس" قبل أن يموت بأن العصابة أنذرت "انسلهيم" تليفونيا في صباح ذلك اليوم بأن طفلته ستقتل إن لم يدفع الفدية المطلوبة .

ولا شك أن الأب الحنون لا يريد أن تقتل طفلته .. وكان "لوبيين" متلهفا إلى أن يشهد الطريقة التي سيتم بها الدفع .

نزل "لوبيين" من سيارته ومشى يتسكع على الإفريز وعيناه على باب البيت الذي يقطنه والد "فيولا" .

ولمح رجلا متواريا في الظلام على مقربة من الدار فقال في نفسه : يظهر أن العصابة خصصت أحد رجالها لمراقبة الأب الحنون. فتح باب البيت وخرج رجل يحمل تحت إبطه لفافة كبيرة من الورق.

وسقط ضوء المصباح على وجه الرجل فعرف "لوبيين" أنه هو بنفسه "اسكل انسلهيم" !

فهز رأسه وقال : ليت شعري أي شيء في هذه اللفافة ؟ إن فيها فيما أعتقد رزما من الأوراق المالية .. لقد قرر "انسلهيم" أن يدفع . ولكنني لن أجعله يدفع !

ودنا "انسلهيم" من الرجل المتوارى في الظلام على مقربة من البيت ولكنه لم يناوله اللفافة وإنما تحدث إليه برهة ثم صعد إلى سيارته واللفافة لا تزال تحت إبطه .

فادرك "لوبيين" أن هذا الرجل ليس من العصابة وأنه على العكس من ذلك : شرطي سري أقامه "انسلهيم" عند الباب ليسهر على حماية

الطفلة المحبوبة .

وانطلقت سيارة "انسلهيم" تنهب الأرض .

وكانت هناك سيارة أخرى منطلقة في اثرها وفيها "أرسين لوبين" ١.

* * *

ظلت السيارتان تطويان الطرق في نفس الاتجاه حتى بلغتا ضواحي المدينة . فرأى "لوبين" من الحكمة أن يطفى أنوار سيارته حتى لا يلفت إليه انظار "انسلهيم" .

استمرت هذه المطاردة فترة طويلة من الوقت .

وعلى حين بغتة أوقف "لوبين" سيارته إذ رأى أن سيارة "انسلهيم" قد وقفت على قيد حوالي ٢٧ مترا منه .

ولم ينزل "انسلهيم" من سيارته . ولكن "لوبين" رأى على الأشعة المنبعثة من مصابيحها جسما أسود اللون يخرج من النافذة ويطير في الهواء ثم يستقر على الأرض في صوت سمعه "لوبين" في هذا السكون الذي يشمل الأرض .

وعرف على الفور أن هذا الشيء ليس إلا اللقافة التي فيها الغدية .

قفز "لوبين" من سيارته وانطلق صوب المكان الذي سقطت فيه اللقافة في الوقت الذي تابعت فيه سيارة "انسلهيم" طريقها .

ولم يثب "لوبين" إلى اللقافة بل توارى خلف إحدى الأشجار مكتفيا بالنظر إليها وهي في موضعها تغمرها اشعة القمر .

وبعد دقائق سمع "لوبين" خشخشة الشجيرات القريبة من اللقافة ..

ثم أزيحت الأغصان وبرز من بينها رأس رجل تبعد كفافه .. ١

امتدت يد الرجل لتلتقط اللقافة .. وقبل أن يلمسها كان "لوبين" قد

أخذ بخناق الرجل وهو يقول في صوت لطيف :

- أهذا أنت يا عزيزي "هيمي فيلدر" .. ؟ إنني سعيد بلقائك !

حملق الرجل إلى وجه "لوبين" وقد عقدت المفاجأة لسانه وجعلت اللون يغيض من وجهه .. ففتح فمه دون أن يتكلم !
فقال "لوبين" مازحا :

- إنني لست عفريتاً .. ولكن اسمح لي أن أحمل عنك هذه اللقافة.
التقط اللقافة مسرعا دون أن يتصدى "هيمي فيلدر" لمنعه .. وحين
ملك صوته كانت الكلمة الوحيدة التي نطقها هي قوله :
مجنون !.

تابط "لوبين" اللقافة وهو يقول :
- والآن وداعا أيها الصديق العزيز .. !
وقبل أن يتحول لينصرف سمع خفق نعل على قيد خطوات منه..
والتمعت عينا "فيلدر" ببريق الأمل فابتسم "لوبين" وهمس في أذنه
قائلا :

- كلا يا صديقي .
وارتفع صوت القادم قائلا :
- هل عثرت عليها ؟
وتولى "لوبين" الإجابة :
- لا يا صاح .. إن "هيمي" لم يعثر عليها .. ولكن أنا الذي عثرت
عليها .. فارفع يديك فوق رأسك وإلا ..
وقبل أن يتم "لوبين" جملة دوى طلق ناري أصاب الشجرة التي كان
"لوبين" واقفا عندها ! ..

ضاق عينا "لوبين" وضغط زناد مسدسه .. !
ولم يكن في نيته أن يقتل الرجل لأنه ما كان ليحفل بالحشرات
الحقيرة ولهذا اكتفى بأن سدد المقذوف إلى المسدس الذي يحمله
الرجل.

طار المسدس من يده ولكنه لم يرض بالهزيمة فوثب يريد الانقضاض على "لوبين".

تلقاه "لوبين" بان ضغط الزناد مرة أخرى ولكن الرصاصة لم تنطلق لأنها كانت رصاصة فارغة !

وقبل أن يضغط "لوبين" الزناد للمرة الثالثة كان الرجل قد وصل إليه واشتبك معه في عراك عنيف .

كان الرجل ضخم الجسم كأنه عملاق جبار . فكان ثقل وزنه من العوامل التي ضايقته "لوبين" على الرغم من براعته في فن المصارعة وحذقه الأساليب اليابانية .

دام النضال طويلا وأخذ الرجلان يتدحرجان على الأرض وكل منهما يحاول أن يشد بقبضتيه على عنق غريمه .

وأخيرا ألقى "لوبين" نفسه طريحا على الأرض والرجل جاثم فوق صدره وقد أمسك بعنقه محاولا أن يخنقه .

وهتف الرجل قائلا :

- لقد نلت يا "هيمي" .. ! لقد نلت .. !!

ولكن "لوبين" لم يكن من الطراز الذي ينال بمثل هذه السهولة . فرفع يده التي كانت لا تزال ممسكة بالمسدس وضرب الرجل على صلعته بمقبضه ضربة جمع فيها كل قوته .

وتراخت يد الرجل عن عنقه فدفعه "لوبين" عن صدره فتدحرج وسقط على الأرض .. !

رأى "هيمي فيلدر" أن الواجب يقضي عليه بأن يتدخل فاراد أن يثب بدوره على "لوبين" ولكنه لكمه في فكه لكمة ألقت به على الأرض غائبا عن الوعي .

نهض "لوبين" واقفا ونفض ثيابه ثم حمل اللقافة التي تحتوي على

الأوراق المالية .

وبعد لحظات كان منطلقا بسيارته راجعا إلى المدينة وقد خلف وراءه
المقاتلين الجسورين راكدين على الأرض مستغرقين في النوم الهنيء .

الفصل الثاني

يظهر انه لا ضرورة لان نقول : إن مستر "اسكل انسلهيم" كان يهوديا.

وهو رجل بدين الجسم اسود الشعر له عينان ضيقتان تزدادان ضيقا إذا ما استولى عليه الخوف . وله ابتسامة لطيفة جذابة وانف شديد القوس من المؤكد انه كان السبب الاول الذي حمل "هتلر" على طرد اليهود من المانيا . وبهذا الانف لا يستطيع احد من النازيين ان يعتقد انه يمكن ان يكون رجلا شريفا رحيم القلب وانه جمع ثروته بوسائل مستقيمة غير ملتوية .

كان "انسلهيم" جالسا إلى مكتبه تلوح على محياه امارات الإعياء ونور المصباح يسقط على وجهه فيبرز للعين شدة امتقاعه ، وكانت يداه موضوعتين على المكتب ، ولكن لو انك تأملتكما قليلا لرأيت فيهما رجفة خفيفة، وكان تحت عينيه خطوط زرقاء تدل على انه كابد في الايام الأخيرة متاعب تمزق القلب .

وفي الطابق الأعلى كانت طفلة "فيولا" راقدة في فراشها غارقة في النوم الهنيء لا يشغل ذهنها غير احلام الطفولة العذبة .

ومن أجل هذه الطفلة رضي اليهودي بان يدفع الفدية المطلوبة . حقيقة قد اعد إليه "فيولا" ذلك الشيطان المسمى "ارسين لوبين" دون ان يتقاضى اجرا عن إنقاذها .. ولكن "انسلهيم" كان يعلم انه لابد ان يدفع الاجر .. للعصابة وليس لـ"لوبين" حتى يكون مطمئنا إلى سلامة الطفلة .

وكان "انسلهيم" لا يجهل ان طفلة لم تخطف لأن في النية الفتك بها وإنما اريد من خطفها ان يكون نذيرا يحمله على الدفع . ولقد اتصلت به العصابة في صباح ذلك اليوم وامرته بان يدفع وإلا

قتلت ابنته .

كان هذا الإنذار هو السبب في تلك الرحلة التي قام بها إلى ضواحي المدينة حين القى لفافة الأوراق المالية من نافذة السيارة في المكان المتفق عليه دون أن يدري بأن "لوبين" خلفه يرقبه ويرصد حركاته .

كان "انسلهيم" وهو جالس إلى مكتبه يسائل نفسه عن السبب الذي يجعل مدينة عظيمة كنيويورك .. مدينة اجتمعت لها كل أسباب الثراء والرفاهية والقوة .. ما السبب الذي يجعل هذه المدينة واقعة في قبضة عصابة دموية لا هم لها إلا ابتزاز المال والفتك بالأبرياء دونما رحمة أو شفقة ؟ ما السبب الذي يجعل البوليس عاجزا مكتوف

الأيدي امام هذه النكبات المتوالية ؟

ولكنه لم يكن في حاجة إلى أن يسمع جوابا من احد . لأنه كان يعرف الجواب كما تعرفه أمريكا بأسرها .. لو أن القضاة كانوا شرفاء، ولو أن رجال البوليس كانوا غير مرتشين لمسحت هذه العصابات مسحا تاما منذ زمن طويل ..

ولكن كيف السبيل إلى القضاء عليها والإرهاب ناشر جناحيه على المدينة .. والحكم للمدفع الرشاش .

وحين طافت هذه الخواطر بذهنه استولى عليه الغضب .. لا لأنه كان يأسف لأن المدينة في قبضة العصابات وإنما لأنه كان يعلم أن المال الذي دفعه لن يرد إليه .

وفي هذه اللحظة سرت في أوصاله رعدة فجائية .. لم تكن ناشئة عن الخواطر التي تواردت على ذهنه وإنما كان مبعثها تلك الحركة الخفيفة التي تباشرت إلى أذنه .

كانت نافذة المكتب مفتوحة .. وعندها وقف "أرسين لوبين" يرقب اليهودي بعينييه المرحتين اللتين تنبعث منهما سخرية مرة .

وعندما تكلم كان صوته أشد سخرية من عينييه .. كان وقع نبراته في

الأذن أشبه بصليل السيوف .

ولقد مرت به لحظات وهو في مكانه هذا يتابع تلك الخواطر التي
تصطخب في دماغ اليهودي .

وتكلم "لوبين" قائلاً :

- كيف حالك يا "انسلهيم" ؟

ولم يكذ اليهودي يسمع هذا الصوت حتى تبدد ما كان يشعر به من
الغضب والنقمة . ولم يعد يفهم أو يدرك إلا شيئاً واحداً هو أن طفلة
المحبوبة راقدة في فراشها وليس هناك من يحميها من الموت الذي
يترصدها .

حملق "انسلهيم" في وجه "لوبين" بعينين ينبعث منهما الرعب ورفع
يديه إلى رأسه يشد شعره كأنه مجنون فقد الوعي .

ثم صرخ قائلاً في نوبة عصبية :

- لقد دفعت . ! لقد دفعت . ! فماذا تريد . ! لماذا لا تتركني في سلام !

جلس "لوبين" على حافة النافذة وقال مجيباً :

- كلا .. إنك لم تدفع .. إنك لم تدفع أيها الأخ .

فصرخ اليهودي للمرة الثانية قائلاً :

- أقسم إنني دفعت ! .

واكسبه الرعب شجاعة وبلاغة فاسترسل قائلاً :

- لقد دفعت .. دفعت هذه الليلة .. كما نبهت علي .. لا شك أنه حدثت

غلطة .. ولكنها ليست غلطتي .. أقسم لك إنني دفعت ! .

ومد "لوبين" يديه في جيوبه فكاد يغمى على المسكين اعتقاداً منه أن
عدوه سيخرج مسدسه .

ولكن "لوبين" أخذ يخرج من جيبه رزماً من الأوراق المالية ويلقي بها
على المكتب تحت عيني اليهودي . !

كان "انسلهيم" يتابع بعينيه كل رزمة يلقيها "لوبين" وهي تطير من

يده وتستقر على المكتب دون أن ينطق بكلمة واحدة لأنه كان في ذهوله
أشبه بالصبي الذي يرى ساحرا يخرج من أذنه اليسرى فأرا ومن أذنه
اليمنى أرنبا .

وتكلم "لوبيين" في لهجة مرحة فقال :

- هذا هو مالك يا "اسكل" .. تسعون ألف دولار .. فقد حجزت لنفسى
عشرة آلاف بمثابة عمولة تحصيل بنسبة عشرة في المائة .. وهكذا ترى
أنك لم تدفع .

حملق "انسلهيم" في رزم الأوراق المكدسة على مكتبه وقد استولى
عليه رعب جديد ، ولكنه لم يحاول أن يلمسها كان في ملمسها الموت !
ولما تمالك روعه صاح قائلاً :

- من أين جئت بهذه الرزم ؟

فقال "لوبيين" مفسرا :

- يظهر أنها سقطت منك في أثناء سيرك ولكنني كنت وراعتك لحسن
الحظ فالتقطتها .. ولا أحسب أن دخولي من النافذة قد ساءك، وأرجوك
أن تعذرني في ذلك فإننى مولع باستعمال سلالم الحريق .

ساد الصمت برهة ثم استرسل "لوبيين" قائلاً :

- إنني رجل شريف فلم يخطر لي على بال أن أستولى على مالك ..
ولكن الشيء الذي يدهشني هو تلك الطريقة الشاذة التي تبذر بها
ثروتك فإنني مهما كنت واسع الثراء فلن أفكر في يوم من الأيام أن أنثر
الأوراق المالية في الطرق ذات اليمين وذات الشمال !

فازدرد "انسلهيم" ريقه وقال :

- هل تقصد أن تقول : إنك التقطت هذه الأوراق من المكان الذي

رمىته أنا فيه ؟

فحنى "لوبيين" رأسه وقال :

- هذا هو ما أردت أن أقنعك به منذ ساعة .. ولكن يظهر أن حظي من

الفصاحة وحسن البيان قليل . فعندما رايتك ترمي هذه اللفافة إلى الأرض قلت في نفسي : لا شك أن هذا الرجل مجنون .

فانفجر "انسلهيم" قائلا :

- بل أنت المجنون .. ! إنك بهذا العمل قد قتلتني .. قتلت ابنتي .

وكان صوته متهدجا مختنقا :

- إذا لم يصل هذا المال إليهم قتلوا ابنتي .

فتقدم "لوبين" إلى وسط الغرفة وجلس على حافة المقعد وهو يقول :

- حقا .. !

فقال الرجل مزمجرا :

- يا إلهي .. ! لماذا خطر لك أن تتدخل .. ؟ ! أية أهمية عندك للأمر ..

من أنت .. ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- إنني الرجل الذي أعاد إليك ابنتك .

فهب "انسلهيم" واقفا وصاح قائلا :

- "أرسين لوبين" .. !

فحنى "لوبين" رأسه وتناول سيجارا من الصندوق الموضوع على

المكتب فاشعله وهو يقول :

- أصبت ... ! إنني "لوبين" .. ولعلك قد فهمت الآن السبب الذي جعلني

أفضل أن استعمل سلم الحريق .. ! إنك مدين لي بحياة طفلتك فإذا كان

لديك مال كثير تريد أن تتخلص منه بهذه الطريقة الشاذة فلا مانع

عندي مطلقا من أن تقذفه إلى جيبتي بدلا من أن تقذفه على الأرض .

ساد الصمت برهة وأخيرا تكلم "انسلهيم" فقال :

- ! إنني أسف لمسلكي معك .. ! إنني لن أنسى صنيعك مدى الحياة ..

ولكن إذا أردت أن تساعدني فاخرج ودعني وحدي .. ! إنني أريد أن

أخلو إلى نفسي لأفكر .. يجب ألا يراك أحد هنا إن عرفوا أنك كنت هنا

قتلونا نحن الافنين .

فقال "لوبين" في صوت هادئ :

- كلا . ليس الاثنان .. !

وساد صمت طويل جعل "لوبين" في خلاله ينظر إلى اليهودي كأنه

يريد أن ينحت له تمثالا .

وقال "انسلهيم" متسائلا :

- لماذا جئت لزيارتي الآن ؟ .

نفث "لوبين" من فمه حلقة كبيرة من الدخان وقال :

- جئت لأعيد إليك هذه الأوراق ولأدخن سيجارا من سجارك الفاخرة

ولأشرب ذلك الكأس من العصير الذي يلوح لي أن ليس في نيتك

تقديمه إليّ .. وأخيرا لأرى إذا كان في وسعك أن تساعدني .

- وكيف أساعدك ؟ .. ألا تريد مالا .. ؟

فهز "لوبين" رأسه وأرسل بصره إلى رزم الأوراق المالية المكسدة على

المكتب وقال :

- لو أنني كنت أريد مالا لما جئت إليك .. فقد كان المال في جيبتي كما

ترى .. وفضلا عن هذا فإن لي صديقا من أصحاب الملايين وضع

خزائنه تحت تصرفي وهي لم تفرغ بعد .. كلا .. إنني لا أريد منك مالا

وإنما أريد ثقتك ومعلوماتك .. خبرني بما تعلم .

فهز "انسلهيم" رأسه في حركة ميكانيكية وقال :

- لن أخبرك بشيء .

فنظر "لوبين" في ساعته وتمتم قائلا :

- لماذا هذا التسرع يحسن بك أن تتريث .

ساد الصمت برهة ثم استرسل "لوبين" قائلا :

من الجائز جدا يا "انسلهيم" أن ترجع عن رأيك .. والرجوع عن الرأي

دليل على أن المرء حر في تفكيره وأن له عقلا . وأنه يستعمل هذا

العقل.. وإني أعرف بالتأكيد أن لك عقلا وأنك تحب أن تستعمله .
كان "لوبيين" يتكلم بطريقة ليس فيها شيء من التهديد أو الوعيد
ولكن "انسلهيم" لم يكن من الغباوة بحيث يغفل عن أن هذه الطريقة هي
شعار "لوبيين" وأنه حين يتكلم بمثل هذه الطريقة يكون خطرا رهيبا ..
فلو أن مسدسا كان مصوبا إليه لما كان أشد وقعا في نفسه من هذه
الكلمات الناعمة اللينة .

ولما سكث "لوبيين" تكلم "انسلهيم" فقال في صوت مرتعد :
- وعن أي شيء تريد أن تسألني .. ؟
فنظر إليه "لوبيين"، وكانت نظرته مجردة عن الزهو أو الانتصار ..
وقال :

- حدثني بكل ما تعلم .
فقال "انسلهيم" معترضا :
- ولكنك تعلم من الأمر مثلما أعلم أنا .. لقد اختطفوا "فيولا" لاني
أبيت أن أدفع ثمن الحماية .
فقال "لوبيين" مرددا :

- ثمن الحماية .. إني أعلم ذلك فاستمر .
- ولكنك لا تعلم بالتأكيد أن إنقاذك "فيولا" لن يجدي علي شيئا فإذا
أبيت أن أدفع قتلوها .
- ولكن من هم الذين سيقتلوننا ؟
- لا أدري .. لست أعرفهم .
فهر "لوبيين" رأسه وقال :

- هذا جائز بالتأكيد .. ولكن لديك على الأقل فكرة عنهم .. ما الطريقة
التي يتصلون بك بواسطتها ؟ التليفون .. اليس كذلك ؟ ولكن هب أن
مداعبا ثقيلًا هو الذي هددك . كيف عرفت أن التهديد جدي .. ؟ هل إذا
جاءك رجل من عرض الطريق وأمرك بأن تدفع فهل كنت ترضى أن تدفع ؟

إن مجرد التهديد لا يكفي لحملك على الخضوع .. فلا بد أن هناك
أمرا معيناً جعلك تعتقد أن العصاة جادة فيما تقول .. وهذا هو ما
أريد أن أعرفه .

نهض "أنسليم" واقفا وجعل يتمشى في أرجاء الغرفة وقد لاحت
على وجهه أمارات الاضطراب .

جعل "لويين" يرقبه وهو يعلم بتلك العاصفة التي تصطبخ في
صدره . هذا النضال الرهيب بين الخوف والجرأة إنه يريد أن يتكلم
ولكنه خائف .

وكان "أنسليم" قد بلغ في سيره جدار الغرفة فارتفعت يده في سرعة
البرق وضغطت زرا في الجدار ثم تحول إلى "لويين" وقال في لهجة تدل
على الانتصار:

... والآن هيا اخرج .. ! هذا الجرس متصل برجال البوليس السري
الذين استاجرتهم لحراستي .. إنني لا أريد أن أنزل بك أذى لأنني مدين
لك بكل شيء .. ولكنني لا أستطيع أن أتكلم .. لأن كلمة واحدة تخرج من
شفتي معناها الموت .. موتي وموت "فيولا" ..!

فقال "لويين" في صوت رقيق :

- إنني لا أَرْضَى لك ذلك بالتأكيد. ومشى إلى النافذة فتخطى حافتها

ووقف على سلم الحريق وقال:

- إنني ما زلت في انتظار معلوماتك .. وسنلتقي في يوم آخر .

فهب اليهودي رأسه وقال :

- محال أن أتكلم .. !

فرماه "لويين" بنظرة ازدراء وقال :

- إنك ستتكلم في مرة أخرى!

ثم أخذ يهبط السلم وما لبث أن ابتلعه الظلام .

والواقع أن هذه الزيارة لم تسفر عن أية نتيجة فما خرج منها

"لوبيين" بشيء جديد . كان في وسعه على الأقل أن يظفر بالتسعين الف دولار . ولكنه أبى إلا أن يعيدها إلى صاحبها شأن الرجال الشرفاء .

واخذ يلعن نفسه لقلّة احتياطه إذ مكن "انسلهيم" من أن يستدعي الحارس .. ولكنه سيكون أكثر حذرا في المرة القادمة وسيعرف كيف ينتزع الكلام من هذا اليهودي الماكر .

ويظهر أن "لوبيين" كان منهمكا في هذه الخواطر وهو ينزل السلم فلم ينتبه إلى الخطر الذي كان في انتظاره .

فما استقرت قدماه على الأرض حتى شعر بجسم صلب يضغط ظهره وسمع صوتا يقول :

- تعال معنا أيها الصديق لنذهب بك إلى "نزهة" صغيرة !

* * *

لم تبد على وجه "لوبيين" ذرة من القلق أو الانزعاج وهو يجتاز عتبة الغرفة الداخلية في مقهى "شارلي" .

ومضى يتصفح وجوه الحاضرين كأنما يتفرج على تماثيل مرصوفة في أحد المعارض . والحق أن وجوه هؤلاء الرجال كانت جديرة بالتأمل لأن فيها اصدق تعبير عن روح الشر والجريمة . وكذلك مضى الرجال ينظرون إليه متفرسين ليروا عن كذب وجه هذا الرجل الذي جاء إلى تلك البلاد ليتحدى الحديد والنار .

كان "لوبيين" مجردا من السلاح ، إذ فتشه اعداؤه واحسنوا تفتيشه في هذه المرة فانترعوا حتى المدية المشدودة إلى ذراعه التي غفلوا عنها في المرة الأولى . بل لقد بلغ من ربيبتهم أنهم جردوه من علبة سجائره ومن مبراته ومن القلم الرصاص اعتقادا منهم أن هذا الشيطان قد يحيل حتى مثل هذه الأشياء إلى أسلحة يتوسل بها إلى النجاة .

ولو أن رجلا غير "لوبيين" جرد من أسلحته بمثل هذه الدقة لاستولى عليه الارتياح .. ولكن "لوبيين" على العكس من ذلك كان مبتهجا مسرورا

إذ رأى في هذه العناية خير دليل على أن له في نفس هؤلاء القوم مكانة عظيمة .

لقد ظل يبتسم .. وظللت عيناه ترسلان هذا الوميض الساحر الهادئ الذي يثير الأعصاب ويهيج النفوس .

تمتم "لوبين" وهو يدير عينيه في الحاضرين : مرحبا بكم أيها الإخوان .. ! صدقوني إنني كنت شديد اللهفة إلى لقاءكم .. وليت شعري أي نوع من الاستقبال أعددتُم لي الليلة .. ؟

كان "هيمي فيلدر" بين الحاضرين وقد شد إلى رأسه بعض الضمادات والأربطة كتحية يقدمها إلى المعركة التي جرت في الليلة الماضية .

مال "فيلدر" إلى "كيلمان" وقال :

- إنه مجنون .. هذا الرجل مجنون . !

وكان "كيلمان" جالسا على مقعده كأنه صخرة لا يتحرك وعيناه مثبتتان على "لوبين" ينظر إليه من قدمه إلى رأسه ..

ولكن "لوبين" لم يكن مهتما بـ"كيلمان" أو بـ"هيمي فيلدر" أو بأحد من هؤلاء الطغام وإنما كان بصره عالقا بتلك الفتاة الجذابة "فاي ادواردس" .

وكان غريبا ذلك الأثر العميق الذي تتركه هذه الفتاة في نفسه كلما عبرت طريقها .

إنه لم يكن يعرف عنها شيئا حتى الآن .. لقد سمع صوتها في التليفون وهي تتحدث إلى القاضي "ناتير" .. أو خيل إليه أنه سمع صوتها لأنها لم تكن قد تكلمت حتى هذه اللحظة ليتحقق من أنها هي بعينها صاحبة ذلك الصوت الموسيقي العذب .

لقد رآها في مقر العصابة في الليلة التي استعاد فيها "فيولا انسلهيم" ولكنها ظلت صامتة لا تنطق بكلمة واحدة .. وحين دفعت

المسدس إلى يده لبثت مطبقة الفم أيضا .. ولكنه على الرغم من صمتها .. وعلى الرغم من أنه لم يسمع أحدا يذكر اسمها كان موقنا أنها لابد أن تكون "فاي ادواردس" التي هم "فرسك" بأن يحدثه عنها .

كان وجهها هو الوجه الوحيد في هذه الغرفة الذي يذكر المرء بأن في الدنيا جمالا يعبد .. ! وكان "لوبيين" سعيدا وهو ينظر إليها .. !

فعلى الرغم من المسدسات المصوبة إليه .. وعلى الرغم من الخطر الذي يترصده .. وعلى الرغم من يقينه بأنه على وشك القتل كان سعيدا وهو يتأمل في وجهها هذا الحسن الفتان .. !

وكان هناك سؤال يتردد في ذهنه دون أن يدري له جوابا :
لقد أعانته وهو في شدته .. وزودته بالمسدس .. فلماذا .. ؟ لماذا فعلت هذا . ؟ أي سبب حملها على إنقاذه . ؟ هذا هو السؤال الذي أعياه جوابه .

كانت جالسة على مقعدها جامدة الوجه كأنها تعيش في غير هذه الدنيا ولا تدري بما يجري حولها .

حين دخل الغرفة استقر بصره عليها . وقد خيل إليه أنه رأى في عينيها وميضاً غريباً .. ولكن هذا الوميض ما لبث أن اختفى بمثل السرعة التي ظهر بها . وارتدت "فاي ادواردس" كما كانت جامدة كأنها قطعة من الصخر .

التفت إليها "داتش كيلمان" وقال :

- هذا هو "أرسين لوبيين" .. !

فقالت الفتاة وعيناها مسمرتان على "لوبيين" :

- نعم إنه الرجل الذي قتل "موري والينو" .

ولاول مرة سمع "لوبيين" صوتها .. وكان هو نفس الصوت الموسيقي العذب .. ! فسرت في أوصاله نفس النشوة اللذيذة التي شعر بها حين سمع صوتها في التليفون .

وقال "لوبيين" يخاطبها :

- طاب مساؤك يا "فاي" .

أطالت الفتاة نظرتها إليه ثم تناولت سيجارة من حقيبتها فاشعلتها .

وعلى الضوء المنبعث من عود الكبريت رأى "لوبيين" في عينيها ذلك الوميض الخاطف الذي رآه عند دخوله الغرفة منذ دقائق .

ولكنه لم يصدق عينيه وخيل إليه أنه رأى هذا الوميض بين الوهم والخيال .

وأوما "كيلمان" براسه إلى أحد رجاله . فمشى الرجل إلى باب في الغرفة غير الباب الذي دخل منه "لوبيين" ففتحه وهو يقول :

- تفضلا .

فدخل الغرفة رجالان .

كان أحدهما طويل القامة عريض المنكبين كأنه عملاق جبار يعلو عينييه حاجبان كثيفان . أما الثاني فكان على النقيض من صاحبه ضئيل الجسم أصلع الرأس ذا شارب صغير محفوف . فجعل "لوبيين" يتأملهما ويقارن بينهما وهو يبتسم مبتهجا وقد استولت عليه رغبة ملحة في أن ينزع حاجب العملاق الكثيف ليلصقه في الموضع اللائق به تحت أنف الرجل الضئيل ليجعله شاربا له ... !

عرف "لوبيين" الرجلين فور النظرة الأولى . فالعملاق هو مستر روبرت أركريد زعيم تلك الجماعة السياسية التي تتولى القيام بالحملات الإرهابية لمصلحة بعض المرشحين مستعينة بالعصابات . أما الرجل الضئيل فكان مستر "ماركوس بيلد" النائب العمومي لمدينة نيويورك !

ويظهر أن الرجل الضئيل كان يعرف من تاريخ "لوبيين" ما جعله يقف متباعدا في ركن الغرفة دون أن يجروا على الدنو من "الشيطان" على

الرغم من المسدسات التي كانت جديرة بان تحميه من اى خطر يتهدهه
وكانت نظراته حافلة بالخوف فلم يملك "لوبين" نفسه وهو ينظر إلى
جسمه الضئيل من أن يقول له : بخ .. !

وكما كان يتوقع "لوبين" ارتعد الرجل خوفا .

وقال "أركريد" يخاطب "لوبين" :

- إذن فأنت الرجل الذي كنا نبحث عنه .

- نعم إنني هذا الرجل يا أركريد .

فحملق إليه العملاق وقال :

- وكيف عرفت اسمي .. ؟

- من صورة لك رأيتها في إحدى المجلات .

وجعل "أركريد" يصعد "لوبين" بنظراته ثم قال :

- إنني أرى أن لا فائدة في اللف والدوران .. ولذلك سأخاطبك في

صراحة تامة .. لقد سببت لنا متاعب كثيرة . ولعلك تعرف أن جرائم

القتل التي ارتكبتها كفيلة بان ترسلك إلى الكرسي الكهربائي .

فقال "لوبين" مجيبا :

- الواقع انني لم أكن أعرف هذا ، فعندما حضرت إلى هذه البلاد كنت

أعتقد أنه لا داعي لأن يحصل الإنسان على ترخيص لكي يباح له قتل

الناس .

فقال "أركريد" في لهجة تهديدية :

- إن الكرسي الكهربائي مصير كل مخبول يحضر إلى هذه البلاد

وهو يعتقد أن في وسعه أن ينظفها .. وأنت تعلم بالتأكيد ما ينبغي أن

أفعله الآن .

فقال "لوبين" مصححا :

- بل أعلم ما "كان" ينبغي لك أن تفعله .. ! إن الواجب يقضي عليك

بصفتك رجلا شريفا ومن أنصار القانون والنظام أن تستدعي شرطيا

وتسلمني إليه .. ولكنك لن تجرؤ على هذا لأن الناس قد يسالونك عن السبب الذي أتى بك إلى هذا المكان .

ساد الصمت برهة واشعل "أركريد" سيجارا ضخما جذب منه بضعة انفاس ثم قال :

- ليس في نيتي أن استدعي شرطيا .. لسبب واحد هو أنك لا تزال في مستقبل العمر ، ومما يؤسف له أن يموت من كان مثلك وهو غض الشباب .. إنك تكره بالتأكيد أن ترسل إلى الكرسي الكهربائي أو تؤخذ إلى "نزهة" صغيرة اليس كذلك ؟

لبث "لوبين" صامتا لا يتكلم فاسترسل "أركريد" قائلا :

- لو أنك أتيت لمقابلتي فور قدومك إلى هذه البلاد لأمكنني أن أسدي إليك خدمة كبيرة .. إن هذه الأعمال التي تشغل نفسك بها الآن تتعبنا وتتعبك . إننا لسنا نأقمن عليك لقتلك "أربول" فقد كان غير ذي شأن في العصابة .. ولسنا نأقمن عليك لقتلك "والينو" فقد بدا ينتفخ ويكبر في الأيام الأخيرة وكان في نيتنا أن نتخلص منه لو أنك لم تقتله .. ولكنك لا تزال ماضيا في طريقك واخشى أن تمتد يدك إلى قوم نحصر على بقائهم .. لقد وعدنا الجمهور بأن نقر الأمن والنظام .. وبصفتي رئيسا لجمعية "تاماني" التي تقوم بالدعاية الانتخابية أرى من واجبي أن أضع حدا لنشاطك .. وهذا مستر "بيلد" يؤيدني فيما أقول .

فتكلم النائب العمومي للمرة الأولى في صوت متحشرج فقال :

- بالتأكيد .. يجب أن أضع حدا لنشاطك .. يجب القضاء على هذه الحركات التي لا داعي لها .

واسترسل "أركريد" قائلا :

لقد تعهدنا للمرشحين بإقصائك من الميدان وأنا رجل أحب أن أبر بتعهداتي .. ولكننا رأينا ألا نشد في معاملتك ، ولذلك قلت لصديقي "بيلد" : إن "لوبين" رجل عاقل فلماذا لا نتقدم إليه بعرض معقول ؟

كان الأمر من الواضح بحيث لا يحتاج إلى كل هذه البلاغة الفياضة التي عمد إليها رئيس جماعة الدعاية الانتخابية .. كانت هذه الجماعة تعتمد في نصرته مرشحيها على الحملات الإرهابية التي تقوم بها العصابات لمصلحة هؤلاء المرشحين .. فإذا جاء "لوبين" وقضى على هذه العصابات فقد قضى ضمنا على جمعية "تاماني" .

ساد الصمت برهة ثم استرسل "أركريد" قائلا في لهجة تمثيلية:
- أما هذا العرض فهو ربع مليون دولار .. ألا ترى أننا كرماء أسخياء ؟ إننا نعرض عليك ربع مليون دولار لكي تغادر هذه البلاد راجعا إلى إنجلترا أو إلى أي بلد تشاء... فما رأيك ؟
فقال "لوبين" يسأله :

- واية خدمة تبغون مني لقاء هذا الثمن ؟
فجذب "أركريد" نفسا طويلا من سيجاره الضخم ثم قال :
- إننا لا نبغي منك شيئا .. كل ما ننشده هو إيقافك عند حدك. لا نريد أن تتدخل في شؤون هذه المدينة .. ولكنك تعلم بالتأكيد أن لا فائدة هناك على الإطلاق إذا سافرت أنت وبقي أذنابك وأعوانك ماضين على نفس الخطة .. ولهذا نريد منك أيضا أن ترشدنا إلى رجال عصاباتك لنتفق معهم كما اتفقنا معك .. الست ترى معي أنها صفقة رابحة ؟

فقال "لوبين" مجيبا :

- إنها صفقة رابحة لك .. خاسرة لي

فصاح "هيمي فيلدر":

- إنه مجنون ! ألم أقل لكم : إنه مجنون !

فدار "أركريد" على عقبيه وصاح بـ"فيلدر" قائلا :

- اصمت أيها الغبي وإياك أن تتكلم .

ثم تحول ثانية إلى "لوبين" وقال في صوته الهادئ :

- اصغ إلي .. إني لا أحاول أن أخدعك .. سننقدك ربع مليون دولار لكي تغادر هذه البلاد .. إني أهيب لك فرصة ما كنت لتحلم بها .. فكيف ترفض هذا العرض ؟

- ارفض لأنك تصر على أن تعرف أسماء رجالي .

- واي ضير في أن ترشدنا إليهم؟

- لا مانع لدي بالتأكيد .. إذ كانت لدي عصابة.

- ماذا تقصد ؟

- اقصد أنني إنما أشتغل بمفردي .

- بمفردك .. ! هذا الكلام لا يقبله العقل !

- ولكن يقبله الواقع .. سل من شئت من رجالك تعلم أنهم لم يروني في يوم من الأيام إلا وحيدا منفردا .. إنني الرئيس .. والوكيل .. والسكرتير .. والأعضاء .. والبواب أيضا فعصابتي مؤلفة من رجل واحد . وهذا الرجل هو أنا .. فليس عليك إلا أن تضع في جيبك الربع مليون دولار وتقف على الميناء لتلوح لي بمنديك مودعا !

جعل "اركريد" ينظر إليه برهة ثم اقترب من "بيلد" و"كيلمان" وأخذ الثلاثة يتحدثون في صوت منخفض . بينما كان "هيمي فيلدر" يحرك شفتيه حركات خفيفة دون أن يخرج من بينهما صوت مسموع . ولكن كان من الواضح أنه يريد أن يردد جملته المعهودة:

- إنه مجنون .. إنه مجنون .

واستعار "لوبيين" سيجارة من أقرب الجالسين إليه فاشعلها وأخذ يدخن وهو ينقل بصره بين وجوه الرجال المنبئين في الغرفة وفي عينيه مرح وابتهاج كأنما ينظر إلى صور هزلية مضحكة .

لم يكن "لوبيين" من طراز يخيفه التهديد والوعيد وهو الرجل الذي أمضى حياته مستهدفاً للأخطار . وما كان أيضا من الطراز الذي يرضى بأن يتخلى عن مهمة أخذها على عاتقه سواء قدموا إليه ربع

مليون دولار أو ربع مليون رصاصة !

وعلى الرغم من أن الرجال الثلاثة كانوا يتبادلون الرأي في صوت منخفض إلا أن "لويين" كان يسمع الشطر الأكبر من حديثهم .

وقد سمع "أركريد" يقول :

- وهل من المعقول أن يعمل بمفرده ؟ إن كل هذه الأعمال الجريئة لا يمكن أن تصدر إلا عن عصابة منظمة .

فقال النائب العمومي :

- إنني أعتقد شخصيا أنه صادق في هذا القول .

قال "كيلمان" :

- إنه يعتمد على المفاجأة .. يباغت أعداءه على غير انتظار فيظفر بهم .. ولكنني لا أعتقد أنه يجمع حوله عصابة ما .

فقال "أركريد" :

- هذا جائز .. ولكن يجب أن نعمل عملا يرضي الشعب .. إذا قدمناه إلى المحاكمة فضحنا وأطلق لسانه بما يعرف .. وإذا قتلناه هاج الشعب ضدنا .. ولكن يجب على أي الأحوال أن نتخلص منه . فما العمل ؟

استمر الحديث برهة بين الرجال الثلاثة و"لويين" ماض في تدخين سيجارته في غير اهتمام كأنما لا يحفل بما يجري حوله ..

وكان هذا الحديث يعني شخصا آخر سواه .

ولكنه كان يفكر في ذلك الرجل العجوز "فالكروس" الذي استدعاه من أوروبا وجعله يعبر المحيطات والبحر لكي ينقذ هذه المدينة الغارقة في الدماء .

إن من المحال أن يشي بهذا الرجل وأن يذكر للعصابة أنه هو الذي يؤيده ويسانده . كما أن من المحال أن يتخلى عن المهمة التي جاء من أجلها .

في هذه المدينة سبعة ملايين شخص يدفعون إلى القضاة وإلى رجال البوليس مرتبات ضخمة لكي يحموهم من السرقة والقتل .. فإذا بهؤلاء الرجال يستخدمون مناصبهم في تأييد السرقة والقتل ! وليس في هؤلاء الملايين السبعة رجل واحد يجهل هذه الحقائق ولكن ليس فيهم رجل واحد يجرؤ على أن ينادي براهه وأن يقول للشرطي المرتشي :

إنك مرتش .. أو للقاضي الخرب الذمة : إنك خرب الذمة .
ولكن "لوبيين" سيقول هذه الكلمة الجريئة .. فإذا كانت الشجاعة قد خانت سبعة ملايين رجل فإنها لم تخنه هو .. وإذا كانت المدينة بأسرها لم تجد الكلمة التي ينبغي أن تقال فإن "لوبيين" قد وجدها .

وقطع عليه حبل تصوراته صوت "أركريد" وهو يقول :
- لقد سمعت يا "لوبيين" كل ما ينبغي أن يقال .. ليس لحل هذه المشكلة إلا طريقتان : طريقتك وطريقتنا .. فايهما تختار ؟

- ولكني أنكر أنني ذكرت لك رأيي من قبل !

- ألا تنوي أن تعدل عنه ؟

- إن "لوبيين" لا يتراجع .

فهز "أركريد" رأسه وقال :

- إنها فرصة أفلقت منك .. وستندم عليها ؟

ونهمز واقفا وهو يقول مخاطبا "كيلمان" :

- أفعّل إذن ما اتفقنا عليه .

مشى إلى الباب وخلفه النائب العمومي ولما انصرف الرجلان قال "كيلمان" :

- تعال هنا يا "لوبيين" .

تكهرب جو الغرفة وأرهف الحاضرون أسماعهم واتسعت عيونهم انتظارا لما يمكن أن تتمخض عنه الحوادث !

كان صوت "كيلمان" باردا ولكن نبراته تنذر بشر مستطير ولم يكن في نية "لوبين" أن يقف مكتوف اليدين حتى يجهز عليه أعداؤه ولكنه في الوقت ذاته لم يكن يدري كيف يكون المخرج من هذا المازق الحرج إذ لا سبيل له وهو بمفرده إلى التغلب على عشرات من الرجال مدججين بالسلاح .

نظر "كيلمان" إلى وجهه وقال :

- إنك ولد طيب .. لقد اتعبتنا حقيقة ولكنك كنت ولا تزال ولدا طيبا .. فهل لك في أن تنتظر برهة في الخارج حتى استدعيك !
ولم يكن أحب إلى "لوبين" بالتاكيد من أن يغادر الغرفة . ولكنه لم يغادرها بالطريقة التي ينشدها وإنما انقض عليه رجالان من أبناء العصاة ومضيا به إلى الغرفة المجاورة .

وأشار "كيلمان" إلى اثنين من أعوانه بالاقتراب منه واخذ يصدر إليهما تعليمات قائلا :

- ساعد إليك يا "ماكس" بهذه المهمة أنت و"جو" . فاديا له التحية العسكرية اللائقة .. ثم عودا لمقابلتي هنا .

خرج الرجلان من الغرفة وقد أمسك كل منهما بمسدسه استعدادا لأداء التحية العسكرية !

التفت "كيلمان" إلى أعوانه وقال :

- كان "لوبين" ولدا طيبا .

ثم أخرج من جيبه منديلا مسح به دمعة حزن ترقرت في عينيه !

عندما خرج "لوبين" إلى الطريق أنعشه النسيم العليل .

وجلس في السيارة بين حارسيه وقد ألصق كل منهما فوهة مسدسه بجانب الأسير وأصابعهما على الزناد حتى لا يتيحا له فرصة يفلت فيها ، فحسبه أقل حركة تجعل المسدسين يحملان إلى قلبه الموت الأكيد ، وبينما كان السائق يدير المحرك أرسل "لوبين" بصره إلى باب

المقهى .. وهناك رأى "فاي ادواردس" تسد فرجة الباب بقوامها الرشيق.

كانت حافة قبعتها مرخية على عينيها فلم يدر "لوبين" إذا كانت تنظر إلى ناحيته أم لا .. وما كان هناك سبب يدعو إلى الظن بأنها تتابعه بنظراتها أو أنها تشعر بوجوده ، ففي خلال الحديث الذي دار بينه وبين "أركريد" كانت جالسة تدخن سيجارتها مستسلمة إلى خواطرها الشخصية غير عابئة بما حولها .. وعندما أصدر "كيلمان" الأمر بإعدامه كانت مهتمة بإشعال سيجارة ثانية.. بل إنها لم تكلف نفسها مؤونة رفع عينيها . وكانت يدها ثابتة لا ترتعد .. وعندما دفعه الحارسان إلى خارج الغرفة نظرت إليه نظرة بدا فيها شيء من القلق والانزعاج ولكن هذه النظرة ما لبثت أن تبددت وارتدت إلى وجهها جموده المعهود .

ولاحظ "ماكس" أن "لوبين" يطيل النظر إلى "فاي" وهي عند باب المقهى فقال له :

- تأملها جيدا .. فبعد قليل لن يكون في وسعك أن تتأمل شيئا!

فابتسم "لوبين" وقال :

- إنها تستحق أن ينظر إليها المرء ومن حسن الحظ أن السائق بطيء في عمله .. !

رأى "لوبين" الفتاة تعبر الطريق خلف السيارة في الوقت الذي جذب فيه "جو" الستائر فاسد لها .

بعد لحظات تحركت السيارة فعبرت بعض شوارع المدينة ثم انعطفت إلى ناحية الغرب .

كان "لوبين" يعرف أنه سائر إلى حتفه .. ولكنه ظل مع ذلك رابط الجاش هادئ الأعصاب لا تطرف له عين إذ كان موقنا من أن الإقدار لن تتخلى عنه في مثل هذه اللحظة الخطيرة التي أخذ فيها على عاتقه أن

يؤدي رسالة العدالة .. العدالة السليمة التي لا ترحم أحدا .
إنه ما تدخل وما قتل ابتغاء نفع خاص ، وإنما فعل كل هذا لكي
ينقذ سبعة ملايين شخص من قبضة وحوش بشرية لا ترحم .
وما كانت هذه أول مرة واجه فيها الموت .. وما كانت أول مرة ألقى
نفسه فيها في مازق حرجة شديدة . ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يطرد
من ذهنه هذا السؤال : أترأه لم يبالغ في الثقة بنفسه والاعتداد
بقوته!

كان في وسعه أن يطلق صرخة استنجد كلما وقفت بهم السيارة
عند مفترق الطرق .. ولكنه لم يكن من الطراز الذي يستنجد .. إذ أبت
عليه كبرياؤه أن يلجأ إلى هذه الوسيلة التي لا يقرها تاريخه القديم
الحافل بجلال الأعمال . ومع ذلك فهب رجال البوليس خفوا إلى
نجدته فهل ينتظر أن يجني من هذه النجدة شيئا ذا قيمة .. ؟ سينقذه
الشرطي من حارسه . ولكنه سيرسل به إلى السجن . ولن يجد "لوبين"
محكمة تقره على طريقته في تنفيذ العدالة ، فإذا نجا من رصاص
المسدسات فلن ينجو من الكرسي الكهربائي .

كان "لوبين" يعتقد أن حظه مع العصاة قد يكون خيرا منه مع
القضاء .

وكان قد سمع كثيرا عن "النزهات" الصغيرة التي ترسل إليها
العصابات الأمريكية أعضاها .. ولكنه لم يكن يتوقع أن يساق بمثل
هذه السرعة إلى إحدى تلك النزهات . ومهما يكن من أمر فسيتحقق
الآن بنفسه مما إذا كانت الروايات التي سمعها كاذبة أم صادقة . ولما
كان المثل القديم يقول : إن للمعرفة ثمنها . فسيدفع "لوبين" حياته ثمنا
لما سيعرف .

أخرج "ماكس" علبه سجائره من جيبه وقدمها إلى "لوبين" وهو
يقول .

- هل لك في سيجارة .. ؟

- شكرا .. إن التدخين مباح فيما أرى للمحكوم عليهم بالإعدام.

في الوقت الذي كان فيه "ماكس" يقدم إليه السيجارة كان "جو" متحفزا لإطلاق النار إذا بدرت من "لوبين" بادرة تدل على أنه ينوي أن ينقض على "ماكس".

جذب "لوبين" بضعة أنفاس من سيجارته ثم اسند رأسه إلى وسادة السيارة وقال متظاهرا بأن ليس للسؤال شيء من الأهمية :

- من هذه الفتاة المسماة "فاي" .. ؟ فاجاب "ماكس" :

- ماذا تقصد بهذا السؤال .. ؟

- إنها "دمية" بالتأكيد .

كان "لوبين" يعرف أن هذا اللقب أي "الدمية" إنما يطلق على الفتاة التي يتخذها زعيم العصابة خلية له.

إن زعيم العصابة رجل دموي يمضي نهاره وليله غارقا بين الجثث لا يفكر إلا في إراقة الدماء .. ولكن إذا ما حانت ساعة اللهو انقلب رجلا آخر لا يفكر إلا في إشباع شهواته والاستمتاع بما في الدنيا من جمال .

ولهذا كان لكل زعيم عصابة "دمية" يلهو معها ويزهو أمامها بالانتصارات التي أحرزها في عالم الجريمة .. ! ولكنه لا يشرك معه دمية في الخطط التي يضعها أو في الجرائم التي ترتكبها العصابة .
الدمية امرأة خلقت للمتعة واللهو لا للحكم والسلطان .. قد تكون رشيقة وقد تكون فاتنة الجمال ولكنها لا يمكن أن تكون متوقدة الذكاء.
كان "لوبين" متلهفا إلى مضاعفة معلوماته عن "فاي ادواردس" ولكنه كان يعلم في الوقت ذاته أنه لن يظفر بجواب من "ماكس" إذا وجه إليه في صراحة الأسئلة التي تدور في خله . ولهذا قال في غير اكتراث كأنما مقتضيات الحديث هي التي تدعو إلى ذلك :

- الحق انها فتاة جميلة .. ولكنى لا اعتقد ان لها ميزة اخرى غير الجمال .. إن النساء من الغباوة والتقلب بحيث لا يليق بالمرء ان يثق بهن .

فنظر إليه 'ماكس' في عطف وشفقة وقال :

- بل أنت الغبي .. إنها امرأة ذكية .. إن في دماغها عقلا لو وزع على عشرة من الرجال لأصبحوا من كبار الأذكاء .

فهز 'لويين' كتفيه في استخفاف وقال :

- هذا رأيك أنت .. أما أنا فلي رأي آخر .. كلما ازداد ذكاء المرأة تضاعف خطرها . قد تبدو المرأة عاشقة لك مدلهة في حبك فإذا أصبح اليوم التالي رأيته تتخلى عنك لأنها عشقت سواك .

فقال 'ماكس' في ازدراء: - 'فاي ادواردس' تتخلى عن العصابة وتخونها ! حقا لقد صدق 'هيمي فيلدر' حين نعتك بالجنون : ! 'فاي' تخون العصابة ؟ الا تعلم يا صاح انها حلقة الاتصال ؟

فقال 'لويين' وهو لا يزال يتظاهر بقلة الاكتراث :

- حلقة الاتصال ؟

- نعم .. إنها موضع ثقة 'الرفيق الكبير' .. إنها حلقة الاتصال بيننا

وبينه .. فإذا أراد ان يصدر إلينا أمرا حملت هي إلينا أمره ..

وإذا أردنا ان نبعث إلى الرفيق الكبير برأي لنا تولت هي إبلاغه رأينا .. إنها الشخص الوحيد في العصابة الذي يعرف الرفيق الكبير .

كان 'لويين' جامدا في مكانه لا ينم وجهه عن شيء مما يجري في خاطره كان ليس في هذا الحديث الذي يسمعه ما يثير الاهتمام .

لو انه عرف منذ اليوم الأول ان 'فاي' هي حلقة الاتصال لكان له شأن آخر ولعرف كيف ينتفع بهذه المعلومات في الوصول إلى الرفيق الكبير . أما الآن فاية فائدة لما يعلم وهو مسوق إلى الموت ؟

لقد كان ينشد هذه المعلومات منذ اليوم الأول الذي وطئت فيه قدماه

الشاطئ الأمريكي . ولكنها معلومات لا يمكن أن يرضى رجل من العصابة بالإفشاء بها وما جاءتة الآن إلا عفوا وما انفرجت عنها شفتا "ماكس" إلا وهو يعتقد أنه يلقي بها إلى رجل ميت .

تنهد "لويين" ثم قال ونبرات صوته باردة على عهدا :

- مما يؤسف له اني ساموت قبل ان اتعرف إلى الرفيق الكبير..

كان يسرني ان اعرفه .

فضحك "ماكس" وقال :

- وهذا الشوق هو الذي قادك إلى هذا المصير

فقال "لويين" معترفا :

.. إنه فيما أرى رجل عظيم . ولكن الشيء الذي يدهشني هو أنك

وزملاءك ترضون بان تتلقوا أوامرهم من رجل لم تروه في حياتكم..

اعني ما الذي يجعلكم تتعلقون به ؟

فضرب "ماكس" جبينه براحة يده وهو يقول :

- إن في دماغه عقلا .. إنه رجل يعرف كيف يبتكر العمل .. ولقد كان

العمل نادرا عقب إباحة الشراب .

هز "لويين" رأسه مستفسرا . فاستطرد "ماكس" يقول شارحا هذا

الغموض :

- عندما كان الشراب محرما كان المهربون من أسعد الناس . فلما

أبيح الشراب لم يعد لنا ما نفعله .. وكان يجب أن نعيش وأن نبحث

عن عمل نرتزق منه .. وبدانا نشعر بالضيق والحرَج والفاقة..

وفي تلك الايام ظهر الرفيق الكبير فأنقذنا مما كنا فيه .

- وكيف أنقذكم ؟

- دبر لنا العمل . إنه رجل متوقد الذكاء عظيم الذهن لا يقدم على

حركة صغيرة إلا بعد أن يحسب لها حسابا . إنه لا يخطئ . فمن عمل

في رعايته أمن الوقوع في أيدي البوليس .

ظلت السيارة ماضية في طريقها ، وكانت الرحلة طويلة. لم يكن
"لوبيين" يتوقع بالتأكيد أن يستفيد من هذه المعلومات والموت يرفرف
بجناحيه فوق رأسه فقد تكون اللحظة التالية هي اللحظة الأخيرة في
حياته .

إن المعروف عن العصابات أنها لا تجهز على أحد من أعدائها إلا إذا
أحاطته بالمراسيم والتقاليد المعهودة فيوقفونه في مكان ما ويطلقون
عليه النار كأنه جندي صدر الأمر بإعدامه ولكن من المحتمل أيضا أن
تشذ العصابة في هذه المرة عن هذه المراسيم فيكتفي "ماكس" وصاحبه
بإطلاق النار عليه وهو جالس بينهما في السيارة وإلقاء جثته في
عرض الطريق .

ومهما يكن من أمر . ومهما يكن من أمله في الحياة أو الموت فقد
استرسل "لوبيين" في توجيه أسئلته إلى "ماكس" بنفس قلة الاكتراث
التي تظاهر بها من أول الأمر حتى يلقي في روع جليسه أنه لا يعتمد
استجوابه وأن هذه الأسئلة إنما ترددت على لسانه عرضا .

قال "لوبيين" يسأله : ولكن كيف جاء الرفيق الكبير ؟

أعني كيف ظهر للمرة الأولى . ! فإذا كنتم لم تروه من قبل ولم
تسمعوا عنه فكيف يمكن أن تطمئنوا إليه وكيف يمكن أن تعرفوا أنه
قد يكون ذا نفع لكم ؟

فابتسم "ماكس" وقال :

- إنه رجل ذكي . وقد دبر كل شيء .

- ولكن كيف بدا ؟ كيف تمكن من الاتصال بكم في أول الأمر ؟ كيف

سمعتم به في المرة الأولى ؟

فابتسم "ماكس" وقال :

- لا جواب عندي عن هذه الأسئلة فلك أن تخمن الجواب كما تشاء

ولديك متسع من الوقت للتفكير .

وفي هذه اللحظة هدأت السيارة من سرعتها ففهم كوبين ما يرمى
إليه ماكس وقال :
- هذا صحيح . إن لدي متسعا من الوقت للتفكير !

الفصل الثالث

عندما خفت السيارة من سرعتها أرسل "لوبين" بصره إلى الطريق من خلال النافذة الأمامية فوجد الأشجار قائمة على الجانبين وكأنهم في شبه غابة . ولم تقف السيارة في ذلك المكان وإنما انعطفت إلى اليمين في حركة حادة وسارت في طريق ضيق تحف به الأشجار المتشابكة الأغصان التي كانت كفيلة بأن تحجب ما يجري في داخل هذا الطريق الضيق عن كون سائرا في الطريق العام .

أخذت السيارة تثب وثبات متقطعة كلما مرت بجزء غير ممهد من الأرض .

شعر "لوبين" بأن المرحلة الأخيرة قد دنت .. وأشدت خفقان قلبه، وتوترت أعصابه ، ولكنه لم يكن خائفا .

كان الطريق يضيق تدريجيا كلما تقدمت بهم السيارة وبعد مسير بضع دقائق وقفت دفعة واحدة أمام باب يقضي إلى حديقة يحوطها سياج منخفض .

كان هذا المكان في رأي "لوبين" أصلح مكان لارتكاب جريمة القتل . ففي وسعهم أن يطلقوا عليه النار دون أن يترامى دوي الطلقات إلى أحد في هذه المنطقة المهجورة . وفي وسعهم أن يتركوا جثته دون أن يجشموا أنفسهم مؤونة دفنها وهم مطمئنون إلى عدم العثور عليها إلا إذا قادت المصادفة أحد الناس يوما إلى هذه الحديقة المهجورة . وقد تقع هذه المصادفة بعد عام أو عامين أو ثلاثة وعندما يكون الناس قد نسوا اسم "أرسين لوبين" واعتقدوا أنه اختفى فجأة من تلقاء نفسه كما ظهر فجأة .. وبهذه الطريقة تتحقق غاية "أركريد" وأصحابه فيخلصون من "لوبين" دون أن يهيجوا الشعب ضدهم .

نزل "ماكس" من السيارة وهو مصوب مسدسه إلى "لوبين" قائلا:

- تفضل أيها الصديق العزيز .

وخلف "لوبين" نزل "جو" ومسده في يده .

ولم يكن "لوبين" يفكر في هذا الوقت إلا في الطريقة التي يتوسل بها إلى الفرار .. كانت كل جارحة من جوارحه منتبهة يقظة .. وكانت كل عضلة من عضلات جسمه متحفزة حذرة .. وما شعر في يوم من الأيام بالحياة تتدفق في عروقه مثلما شعر بها اليوم وهو يواجه الموت .. ولو أن إنسانا رآه في هذه اللحظة لاستحال عليه أن يتصور أن هذه الحياة الدافقة الفياضة .. هذه الحياة الصاخبة العاتية .. ستخمد بعد لحظات قليلة !

ودفع "ماكس" باب الحديقة الذي لم يكن موصدا ودخل يتبعه أسيره وخلفه "جو" . ولقد خطر لـ "لوبين" أن ينقض على أحد الرجلين محاولا أن ينتزع منه المسدس ، ولكنه لم يكن يجهل خطورة هذه الفعلة إذ سيبادره الثاني بطلقة ترديه قتيلا قبل أن يفرغ من خصمه .

أدار "لوبين" عينيه في الحديقة الصغيرة وقال :

- أهذه نهاية المرحلة ؟

فقال "ماكس" في اقتضاب :

- ونهاية الحياة أيضا !

فقال "لوبين" في هدوء :

- حياة من ؟ أنا أم انتما ؟

فنظر إليه "ماكس" في دهشة وقال :

- امزح كيف شئت .. فبعد قليل لن تقوى على المزاح .

وجعل "لوبين" يستعيد إلى ذاكرته مازق قديمة من هذا القبيل .. كم من مرة وقع فيها في أيدي خصومه وأعدائه ثم استطاع أن ينجو .. فهل كتبت له النجاة في هذه المرة أيضا ؟

لم يكن في نيته أن يسلم نفسه لقمة سائغة لأعدائه .. بل كان ينوي

أن يجاهد في سبيل الحياة .. كان ينوي أن يضرب الضربة الأخيرة
فإذا أخفقت فلن يخسر شيئاً .

وارتسمت على شفتيه ابتسامته القديمة .. ابتسامته التحدي
والنضال والاستخفاف بالمخاطر والأهوال ثم التفت إلى صاحبيه
وقال:

- لقد كنت طول حياتي اتلف إلى معرفة الطريقة التي تتخلص بها
العصابات الأمريكية من أعدائها .. ومن حسن حظي انكما ستشفيان
غليلي !

فضحك "ماكس" وقال :

- ثق اننا سنشفي غليلك حتى اللحظة الأخيرة من حياتك .
- ولكن أرجوك يا "ماكس" ان تحوطني وانت تقتلني بكل التقاليد
والمراسيم المرعية وإلا مت حزينا !

أوما "ماكس" بمسدسه إلى شجرة قريبة وهو يقول :
- قف عند هذه الشجرة .. إنها أصلح الأمكنة .

وقد نطق "ماكس" بهذه الجملة بنفس الطريقة التي كان جديرا بأن
ينطق بها لو أنه كان في نيته أن يلتقط صورة لـ "أرسين لوبين".
تفرس فيه "لوبين" برهة ثم مشى إلى الشجرة المقصودة إذ لم يكن في
وسعه إلا الرضوخ .. فما يستطيع المرء أن يعصي أمرا لمسدسين
مصوبين إلى صدره .

وقف "ماكس" في وسط الحديقة وأشار إلى مساعده "جو" قائلا:
- لا بد من التففتيش لأن لبعض الناس ولعا بلبس دروع من الصلب
تحت ثيابهم الداخلية ..

أخذ "جو" يفك أزرار "لوبين" ويعري صدره .
رفع "لوبين" يديه متظاهرا بمساعدته في فك الأزرار .. ولكن يده
اليمنى استقرت على فك "جو" في لكمة عنيفة لو أنها أصابت ثورا

لصرعته .. وفي نفس الوقت قبض بيسراه على يد "جو" الممسكة بالمسدس وأزاحها بعيدا عن جسمه حتى لا يصيبه الطلق الناري إذا ما ضغط "جو" الزناد دفاعا عن نفسه .. وفعلًا طاشت الرصاصة عن هدفها واستقرت في إحدى الأشجار !

وفي اللحظة التالية كان "لوبين" قد القى بذراعيه حول عنق "جو" يضغطه بشدة وقد اجتذبه إليه وضمه إلى صدره ليتخذ من بدنه درعا حيا يحميه من رصاصات "ماكس" .

وقد فوجئ "ماكس" بهذا الحادث غير المنتظر فرفع مسدسه ليطلق النار على "لوبين" ولكنه أدرك أن رصاصاته وهو في هذا الموقف لن تصيب إلا زميله "جو" . فوثب بضع خطوات منتقلا إلى ركن آخر من الحديقة حتى إذا رأى الهدف مكشوفًا رفع مسدسه وضغط الزناد .

وقبل أن تنطلق الرصاصة كان "لوبين" قد احتوى بالدرع البشري . وراه "لوبين" وهو يضغط الزناد فأنحرف قليلا ليتفادى الرصاصة المسددة إليه .. ولكنه أخطأ الحساب فشعر بالم حاد يصيبه في كتفه وعرف أن رصاصة "ماكس" قد استقرت في بدنه .

وضغط "ماكس" الزناد للمرة الثانية ولكن "لوبين" كان على تمام الأبهة في هذه المرة فلم تصبه الرصاصة وإنما أصابت درعه البشري ! تراخت يدا "جو" وافتلت أصابعه المسدس فسقط على الأرض . ولم يكن في وسع "لوبين" أن ينحني ليلتقطه .. وإلا كشف نفسه وعرض رأسه وجنبه لمسدس "ماكس" .

صاح "ماكس" قائلا :

- الويل لك ! إنك لن تنجو من يدنا !

ثم رفع عقيرته ينادي سائق السيارة قائلا :

- "هاتك" .. ! تعال أيها المجنون .. أين أنت ؟

ذكر "لوبين" السائق الذي كان واقفا في الخارج عند باب الحديقة

مهتما بتنظيف سيارته . وعرف ان امله في النجاة ضعف..
فقد يكون من السهل أن يقاوم عدوا واحدا محتما بجثة "جو" .. أما
أن يقاوم عدوين يتلقاه هذا من اليمين وذاك من اليسار فأمر يقرب من
حد الاستحالة .

ولكن السائق لم يجب النداء فصرخ "ماكس" ثانية قائلا :
- "هانك" .. أين أنت ؟

وفي تلك اللحظة فتح باب الحديقة وظهر عند عتبة شبح يمشي في
خطوات رشيقة وتكلم الشبح قائلا :

- الرفيق الكبير يأمرك يا "ماكس" بأن تنتظر !
لم يكد "ماكس" يسمع هذه الجملة حتى اتسعت حدقتاه دهشة
وتراخى فكه زهولاً ! ولكن الشيء الوحيد الذي لبث ثابتاً في مكانه
إنما هو ذلك المسدس المصوب إلى ناحية "لوبين" .
صاح "ماكس" دون أن يلتفت خلفه :

- ما هذا .. !

فاجابته "فاي ادواردس" قائلة :

- إنه أمر الرفيق الكبير .

أما "لوبين" فقد شعر وهو يستمع إلى هذه الكلمات بأنه خرج من
الموت إلى الحياة . وتضاعف أمله في النجاة إذ كان تدخل الفتاة في
هذه اللحظة كفيلاً بأن يهيئ له من الوقت فسحة يلتمس فيها مخرجاً .
وقال "ماكس" يسألها في صوت بارد :

- ولكن كيف جئت ؟

فاجابته في صوت أشد بروداً :

- جئت ماشية .. ألم تسمع ما قلت لك .. ؟ إن الرفيق الكبير يأمرك

بأن تتركه .

فقال "ماكس" في لهجة تدل على الاستغراب :

- ولكنه قتل "جو" .. !

- فليكن .. إن امر الرفيق الكبير يجب أن ينفذ .

نطقت الفتاة بهذه الجملة في نبرة تنم على أنها لا تعباً سواء قتل "جو" أم حشرات مثله .

كان "لوبين" يعرف أن مسدس "جو" لا يزال على الأرض على قيد خطوتين منه ولكن كيف السبيل إليه وهو لو تقدم خطوة واحدة وانحنى لالتقاطه للفت إليه الأنظار وكشف من جسمه هدفاً لمسدس "ماكس" .

ولكنه كان في حاجة إلى هذا المسدس وكان لابد له أن يحتال على الوصول إليه فأخذ يتزحزح من مكانه تدريجياً بوصة بعد بوصة في حركة غير ملحوظة مقترباً من الموضع الذي كان المسدس يلتصق فيه مغتنماً فرصة انهماك "ماكس" في التحدث إلى الفتاة .
ولما ملك "ماكس" روعه وزالت عنه دهشة المفاجأة قال يسأل الفتاة في خشونة :

- وما الذي يريد الرفيق الكبير أن نفعله به ؟ هل يريد أن نقبله ؟

- الرفيق الكبير يأمرك بأن تتركه .

لم تكن المسافة التي تفصل "لوبين" عن المسدس إذ ذاك لتزيد على ١٥ سم فحرك قدمه حتى لمست المسدس ليتأكد من أن بصره لم يخدعه ثم تهيأ للحركة النهائية . فليس عليه الآن إلا أن يترك جثة "جو" وفي الوقت نفسه ينحني على الأرض ويختطف المسدس في اللحظة التي يرى فيها أن "ماكس" حول بصره عنه .

وقال "ماكس" في نبرة فياضة بالغضب :

- كيف أتركه وقد قتل زملاءنا واصدقائنا .. كلا يا "فاي" .. قل لي

لرفيق الكبير إنك وصلت بعد فوات الوقت .. قل لي له إنك وصلت فوجدت أننا أجهزنا عليه .. محال أن أخلي سبيل هذا الشيطان

المجنون !

ورفع "ماكس" مسدسه مستعداً لإطلاق النار على "أرسين لوبين"
فصاحت به الفتاة :

- لا تكن مجنوناً !

وتعلقت بذراعه وجذبت يده إلى أسفل .

وكانت هذه هي الفرصة التي ينشدها "لوبين" فأنحنى على الأرض
في سرعة البرق واختطف مسدس "جو" واعتدل واقفاً وهو يقول :

- ما وصيتك الأخيرة يا "ماكس" ؟

لقد أقسم "لوبين" أن ينفذ القانون وأن يجرّد قلبه من الرحمة
وضغط الزناد بإصبعه فصرخ "ماكس" ثم ترنح وسقط على الأرض
جثة هامدة دون أن يتمكن من إطلاق رصاصة واحدة من مسدسه لأن
الفتاة كانت لا تزال متعلقة بذراعه على الرغم من محاولته التملص
منها .

نظر "لوبين" إلى الجثتين المطروحتين على الأرض وخالجه شعور
بالندم فما كان في نيته أن يقتل أحداً من هؤلاء الزعانف وهو لا ينشد
إلا الرؤوس الكبيرة ، أما الفتاة فكانت جامدة في مكانها تتأمل
الجثتين دون أن يتراءى في ملامحها ذرة واحدة من الندم أو الخوف .
ذكره موقفها بتلك الليلة التي قتل فيها "موري و الينو" ... بل ذكره
بما كان منها منذ ساعة أو ساعتين حين صدر الأمر بإعدامه . إنها هي
دائماً بعينها لا تتغير ولا تتحول .. نفس الجمود ونفس قلة الاكتراث ..
كانها قطعة من الصخر وكان لها قلباً لا يشعر ولا يحس .

اقترب منها "لوبين" ونظر إلى عينيها .. ولكن عينيها كانتا جامدتين
لا توحيان بشيء .

ولم تتكلم الفتاة ولم يكن "لوبين" ليُدري ما ينبغي أن يصنع إذ كان
الموقف غريباً شاذاً .

حنى رأسه في إيماءة خفيفة وهمس قائلا :

- شكرا لك .

وكانت عيناها جامدتين صامتتين .

تكلمت الفتاة قائلة :

- أهذا كل شيء ؟ .

وحين سمع صوتها الموسيقي سرت في بدنه تلك النشوة الجارفة

التي ما إن سمع صوتها حتى تدفقت في أوصاله .

حرك "لوبين" يديه بشكل يدل على الارتباك وقال :

- هذه هي المرة الثانية التي تنقذين فيها حياتي .. ولست أدري

السبب فهل هناك شيء تريدينه ؟

فقاطعت الفتاة بقولها :

- هناك هذا ..

وعلى حين غفلة وقبل أن يدري "لوبين" بما صنعت الفتاة كانت قد

ألقت بذراعيها حول عنقه وفاح من شعرها عبير مسكر طغى على

حواسه حتى لقد خيل إليه أنه في حلم لا في يقظة .

حملق "لوبين" إلى وجهها دهشا وتمتم قائلا :

- إنني أسف .

فتباعدت عنه الفتاة وتراجعت خطوة إلى الوراء ثم أمسكت بذراعيه

في رفق وهي تقول :

- دعني أرحرك

ونزعت عنه جاكته وضمدت الجرح الذي في كتفه بمنديلها

ومنديله .

ثم قالت له :

- هيا بنا إلى السيارة .

فقال يسألها :

- ولكن أين السائق ؟

فكان جوابها :

- لقد قتلتها !

وحين خرج "لوبين" من باب الحديقة وجد السائق جثة هامدة عند سيارته وبين كتفيه خنجر غارق بين أضلاعه حتى المقبض فعرف السر في أن "هانك" لم يجب حين صاح "ماكس" يناديه .

ولم ينظر "لوبين" إلى وجه الفتاة إذ كان موقنا من أن وجهها يكتسي نفس القناع الصخري الذي يهزأ بالحياة وبالموت على السواء . ذلك القناع الذي لم يرتفع عن وجهها إلا في تلك اللحظة الخاطفة التي طوقته فيها بذراعيها .

تولت "فاي" قيادة السيارة وهي تقول :

- سأذهب بك إلى طبيب أعرفه في حي باسك .

- شكرا لك .

ولما خرجا إلى الطريق العام لم ير "لوبين" السيارة التي كان يتوقع

أن تكون الفتاة قد جاءت فيها فقال يسألها :

- ولكن كيف جئت ؟

- اختبأت في الحقيبة الخلفية عندما كانت السيارة واقفة بباب

المقهى .

وكانت الرصاصة التي أصابت "لوبين" في كتفه قد جعلت قدراً كبيراً من الدماء ينزف من جرحه فظل طول الطريق صامتاً لا يتكلم وقد أدركه الإعياء .

ولما بلغا عيادة الطبيب قال لها "لوبين" :

- يحسن بك أن تنتظري في السيارة حتى أرجع إليك وإلا وشى بك

الطبيب إلى زملائك إذا كان ذا صلة بالعصابة .

- كلا .. إنه ليس متصلاً بالعصابة .

وكان الطبيب خبيراً بمهنته وخبيراً بالمرضى الذين يعالجههم.
فما وجهه إلى "لوبين" سؤالاً واحداً عن السبب في إصابته ، وما سألته
عن اسمه وما قال إن واجبه يقضي عليه بأن يخطر البوليس!
ولما فرغ الطبيب من تضميد جرح المصاب وأخرج الرصاصة التي
كانت مستقرة في كتفه قال :

- ألف دولار من فضلك !

كانت القيمة كبيرة كاجر لعملية جراحية من هذا النوع ولكنها كانت
مناسبة كاجر للكتمان وعدم الفضول، ويحث "لوبين" في جيوبه فذكر
أنه لا يحمل مالا إذ جردته العصابة من محافظته فقال :

- إنني لا أحمل مالا . فهل ترجئني إلى الغد ؟

- بلا شك .. إلى الغد إذن . ولكن أرجوك أن ترسل المبلغ أوراقاً مالية
صغيرة .

وشيع "لوبين" والفتاة إلى الباب .

جلست الفتاة إلى عجلة القيادة وقالت تسال "لوبين" :

- إلى أين أذهب بك ؟

- إلى نيويورك .

وكان تضميد الجرح قد أفاده وردت إليه الكاس التي قدمها إليه
الطبيب بعض قوته التي فقدتها فأردف قائلاً:

- نعم .. يجب أن نعود إلى نيويورك فإن مهمة الليلة لم تنته بعد -

- ولكنني أراك في حالة لا تصلح معها للعمل الليلة .

فهز رأسه في إصرار وقال :

- إنني أكره الراحة .

وحدجته الفتاة بنظرة فاحصة وقالت :

- ما الذي جاء بك إلى هذه البلاد ؟

فاخرج "لوبين" بطاقة صغيرة من جيبه وضعها تحت بصر الفتاة

وهو يقول :

- جئت إلى هذه البلاد لأقتل ستة رجال .. وقد قتلت ثلاثة منهم حتى الآن : جاك أربول وموري والينو و"ايدي فولسانج" . فلم يبق إلا ثلاثة .

فقالت الفتاة وهي تنظر في البطاقة :

- بل لم يبق إلا اثنان لأن "جانسون" هو نفسه "هانك" سائق السيارة إنه يدعى "هانك جانسون" .. ويظهر أن الدور الآن على "داتش كيلمان" .

فحدجها "لوبيين" بنظرة فاحصة وهو يقول :

- إن "كيلمان" صديق لك .. فهل تنوين أن تشي بي ؟

فهزت رأسها وقالت :

- ليس لي اصدقاء .. سأذهب بك إليه الآن .. فإذا رأيته خارجا من المقهى فتقدم إليه .

فابتسم "لوبيين" وقال :

- وسأؤدي التحية العسكرية الالائقة بمقامه العظيم !

كان "لوبيين" يعتقد في إخلاصها وفي أنها ستمهد له السبيل لكي ينال "كيلمان" إذ ليس معقولا أن يكون في نيتها استدراجه إلى فخ ينصب له وقد كان في وسعها أن تترك "ماكس" يقتله إذ ما معنى أن تنقذه منذ لحظات لتقوده إلى حتفه في اللحظة التالية ؟

وفي اللحظة التي كانت فيها "فاي" منطلقة بالسيارة إلى مقهى "شارلي" كان "داتش كيلمان" يقول لأعوانه :

- حسبي ما انتظرت . فإذا جاء "جو" و"ماكس" فأرسلوهما إلي في داري .

ونهب "كيلمان" واقفا فنهض في أثره الحارسان اللذان يتوليان حمايته والدفاع عنه ضد اعتداء العصابات المنافسة .

ولبت "كيلمان" في داخل المقهى على مقربة من الباب على حين خرج

الحارسان إلى الطريق ينظران يمنا ويسرة ليتأكدا من "نظافة" الطريق.

قال أحد الحارسين يخاطب موله :

- الطريق "نظيف" ففضل .

وخرج "داتش كيلمان" إلى الإفريز وهم بالصعود إلى سيارته .

وفي تلك اللحظة لاحت سيارة تقترب من المكان . فلما نظر إليها

"كيلمان" قال يخاطب الحارسين :

- ها هي ذي سيارة "ماكس" و"جو" .. لقد جاءا في الوقت المناسب .

ولبت واقفا على الإفريز ينتظر دنو السيارة .

ولما صارت على قيد خطوة واحدة منه رأى في نافذتها شبعا .

وكان الوقت اضيق من أن يتسع للتقهقر والفرار .

لقد رأى في النافذة شبج الرجل الذي أرسله إلى حتفه منذ ثلاث

ساعات . كان وجهه شاحبا ممتعا ولكن عينيه كانتا ترسلان وميضاً

مخيفاً !

ودوى في سكون الليل طلق ناري .. وقبل أن يبلغ "داتش كيلمان"

الأرض كانت السيارة قد ابتعدت وهي تنهب الأرض صوب الشرق !

بينما كان رجال البوليس يغدون ويروحون حول مقهى شارلي في

حيرة وارتيباك لا يدرون ما يصنعون كانت "فاي ادواريس" قد امعنت

في الابتعاد حتى إذا بلغت حديقة سنترال بارك أوقفت سيارتها هناك .

ذكر "لوبين" فجأة ليلة جاء فيها إلى نفس المكان ولكن في سيارة

أخرى يقودها المفتش "فرسك" .

لم تمض على هذا اللقاء ست وثلاثون ساعة ومع ذلك فقد وقعت في

خلالها حوادث جسيمة . وراح "لوبين" يسائل نفسه عما يجول في

خاطر "فرسك" في تلك اللحظة وهو يرى هذا البركان الثائر الذي

يجتاح العالم السفلي .. هذه العاصفة العاتية التي أخذت تكتسح

الأرض فلا تبقي ولا تذر .

من المحتمل أن يكون "فرساك" في هذه اللحظة منطلقا في أرجاء المدينة منقبا في أركانها عن "لويين" ليرضي باقتناصه أولئك السياسيين الذين يقبضون على زمام الحكم في البلاد والذين يرون في بقائه حيا خطرا جسيما على مقاعدهم في المجالس النيابية .. فلو أنه قدر لهما أن يلتقيا مرة أخرى لما كان حديثهما كسابقه وديا مشربا بروح العطف.

أشعلت "فاي ادواردس" سيجارتها .. ورأى "لويين" وجهها على ومضة الكبريت كالعهد به دائما جامدا كأنه وجه تمثال من الشمع . ولم يكن في عينيها خوف أو اضطراب فقال في نفسه : ليت شعري أيمن أن تكون هذه الفتاة قد قتلت رجلا منذ ساعة وعاونتني على قتل رجل آخر . ؟

التفتت إليه "فاي" وقالت :

- إن اسمي مدرج في قائمتك فهل تراني ارتكبت إثما .. ؟ لا شك أنك تروم مني أمرا فما الذي تبغيه .. ؟ هاأنذا أمامك .
فابتسم "لويين" وقال :

- إنني ما كتبت اسمك إلا فضولا مني .. إنك عندي بمثابة لغز غامض .. كنت أسترق السمع وأنت تتحدثين تليفونيا مع القاضي "ناتير" فكانت هذه أول مرة سمعت فيها صوتك .. وكنت أرقبك وأتأمل وجهك وأنت جالسة مع "موري والينز" .. ولقد أعطيتني المسدس الذي استعنت به على الفرار من مقر العصابة .. فأردت أن أعرف من أنت وماذا كنت ؟ .. ما ماضيك وحاضرك ؟ .. ما الذي دعاك إلى الاندماج في العصابة ؟؟ إنني رجل فضولي كما ترين .
فهزت كتفيها وقالت :

- والآن قد عرفت الجواب بالتأكيد ؟

- أعتقد ذلك ؟

وما انفرجت شفتا "لوبيين" عن هذه الجملة حتى أدركه الندم وعرف
أن لسانه قد هفا . إذ تحولت إليه الفتاة ونظرت في عينيه فأسرع
يقول :

- عندما ذكرت لـ"ماكس" أن الرفيق الكبير يامر به بأن يطلق سراحي لم
يكن هذا صحيحا .

- وما الذي جعلك تظن هذا ؟

- مجرد تخمين .. ولكنني موقن مما أقول .

نفثت الفتاة من فمها سحابة كثيفة من الدخان وقالت :

- نعم .. لم يكن صحيحا .. إن الرفيق الكبير مدرج في قائمتك فهل
تريد أن تظفر به أيضا .. ؟

- بل أكثر من سواء .

- إنك عنيد قوي الإرادة .

- إنني أريد أن اكتب الفصل الختامي في هذه الرواية ..

ساد الصمت برهة ومضت الفتاة تدخن وهي غارقة في خواطرها
و"لوبيين" يرقبها ويتفرس في وجهها وهو يسأل نفسه عما يدعوها إلى
الاندماج في هذه البيئات الغارقة في الجثث والدماء .. وأولى بمن
كانت على مثل جمالها أن تكون الآن في مخدعها تتجمل وتترزين
وتصغي إلى مناجاة العشاق .. ولكنها فيما يلوح من طراز يفهم الموت
أكثر مما يفهم الحب ! وتكلمت الفتاة قائلة :

- أظن أن في وسعي أن أرشدك إلى الرفيق الكبير .

وكان صوتها هادئا يدل على قلة الاكتراث كأنما تتحدث عن شيء
غير ذي بال .

وقال "لوبيين" يسألها :

- ولكنك تعرفينه .. أليس كذلك ؟

- إنني الشخص الوحيد الذي يعرفه .. !

- إنه لغز عظيم .. اليس كذلك ؟ كم مضى على معرفتك إياه ؟
- قابلته منذ ثلاث سنوات قبل أن يصبح "الرفيق الكبير" بل قبل أن
يسمع به إنسان . لقد انتشلني من وهدة الحياة وانقذني مما كنت
أكابد من الفقر والفاقة .. لقد حدثني بفكرته فراقته لي إذ كانت فكرة
سديدة مدهشة ، واستطعت أن أمد إليه يد المعونة بأن جمعت حوله
أفراد العصابة ولكنهم لم يتصلوا به مباشرة وإنما عن طريقي ..
وهكذا كنت حلقة الاتصال بينه وبينهم حتى الليلة .

- اتقصدين أنك اعتزلت العمل ؟

- لا .. كل ما هنالك أنني غيرت رأيي .

ساد الصمت برهة ثم قال "لويين" :

- لا شك أنه رجل عظيم !

- إنه عظيم .. عندما بدا يعمل كنت اعتقد أنه لن يستمر أكثر من
اسبوع واحد على الرغم من سداد فكرته فإن الفكرة السليمة ليست كل
شيء في مهنتنا هذه .. لا بد للزعيم من أن يكون ذا شخصية جارفة
قوية .. والرفيق الكبير مجرد من الشخصية .. ولا شك أنه يعرف ذلك
عن نفسه . ولعل هذا هو ما دعاه إلى الاختفاء والتستر مكتفيا
بمخاطبة عصابته عن طريقي .. بل إنه لم يفكر يوما في أن يخاطب
العصابة بنفسه تليفونيا .. إنه رجل جبار في أحلامه ضئيل منكمش
في الحياة ، لو أنهم راوه لا حتقروه وازدروه فكانت حكمة منه أنه
اختفى جاعلا مني حلقة للاتصال متخذا لنفسه لقب الرفيق الكبير .
عاد "لويين" يسألها بقوله :

- ألم يحاول أحد من رجال العصابة أن يكتشف شخصيته ؟

- لقد تعددت المحاولات التي من هذا القبيل ، ولكنها باءت كلها
بالخسران . لقد أقدم "موري و الينو" على هذه المحاولة .. وكذلك فعل
"كيلمان" . وما تركا حيلة إلا عمدا إليها .. ولكنهما لم يظفرا بشيء ..

وله في دفع أجور أفراد العصابة طريقة ملتوية لا تمكن أحدا من معرفته ..

وعلى الرغم من أن جزءا كبيرا من أموال الغنية والإتاوات المختلفة التي تدفع لأعوانه على الرغم من أنها أوراق مالية كبيرة يمكن تتبعها إلا أنه ظل مع عصابته بعيدا عن الريب والشبهات .. نعم إنه ذكي حريص .

ولم يكن هناك ما يدعو إلى الغرابة فيما ذكرته الفتاة فقد يكون الرجل جبارا إذا خلا بنفسه .. ضعيفا إذا ما واجه الجماهير .. والرفيق الكبير من هذا الطراز .. يستطيع أن يدير ويحرك العصابة . ولكن من وراء ستار .. إنه رجل لا شخصية له .

ولكن السؤال الذي كان لا يزال يتردد في ذهنه وأبى "ماكس" أن يجيب عنه هو : كيف بدأ الرفيق الكبير عمله ؟

ابتسمت الفتاة وقالت :

- بمائة ألف دولار . كان هذا هو رأس ماله . لقد أوفدني إلى "موري و الينو" لأنبئه بأنه - أي الرفيق الكبير - يريد أن يختطف رجلا معيناً لقاء خمسين ألف دولار .. اغتبط "والينو" لهذا الأجر الضخم ، لأن العصابة ما كانت لترفض القيام بهذا العمل لو أنها نقدت عشرة آلاف دولار ... وزود الرفيق الكبير "والينو" بالمعلومات التي لابد منها ليتم الاختطاف دون أن تتعرض العصابة لأي خطر..

وكانت هذه المعلومات من الدقة والإحكام بحيث تم اختطاف الرجل في الساعة المحددة دون أن يستهدف أحد لأي نوع من أنواع الخطر . واضطر الرجل أن يفتدي نفسه بمبلغ دفعه إلى "والينو" .. ولكن "والينو" كان يعرف أن نجاح هذه الخطة إنما استند إلى المعلومات التي زودهم بها الرفيق الكبير .. وكذلك اتصل الرفيق الكبير عن طريقي بـ"داتش كيلمان" وعهد إليه باختطاف رجل آخر لقاء نفس الأجر . وتم

هذا الحادث أيضا بنفس النجاح الذي تم به سابقه فلم يكن أسهل إذ ذاك من أن يجمع الرفيق الكبير تحت ظله "والينو" وعصابته وكيلمان وعصابته فالف من بينهما عصابة واحدة تاتمر بامرهم وتنفذ ما يشير به دون تردد ودون أن يفكر أحد منهم في الانفراد بنفسه وهم يعلمون أن نجاحهم متوقف على المعلومات الدقيقة التي يزودهم بها الرفيق الكبير .. ومن هذا ترى كيف استهل حياته .. ورجال العصابات كما تعلم قد يكونون مفطورين على الجراة ، ولكنهم ليسوا مفطورين على الذكاء .. قد يستطيع الواحد منهم أن ينطلق في الطريق ومسدسه في يده يقذف بالنيران يمنة ويسرة دون أن يهاب شيئا . ولكنه لا يستطيع لحظة واحدة أن يفكر أو أن يضع خطة سديدة .. فكانت مهمة رجال العصابات أن يطلقوا النار ، أما مهمة الرفيق الكبير فكانت أن ينبئهم عن الساعة التي يطلقون فيها النار والمكان الذي تطلق فيه .

وهكذا عرف "لوبين" جواب السؤال الذي ينشده .. السر الذي جعل رجال العصابات يخضعون للرفيق الكبير ولا يفكرون في الغدر به .
قال "لوبين" يسألها :

- وعلى هذا المنوال استمر العمل ؟

- نعم .. ولكن مع فرق ضئيل .. لو أن الرفيق الكبير استمر يستاجر "والينو" وكيلمان وعصابتيهما للقيام بأعمال فردية من هذا القبيل لقاء أجر معين لارتفع هذا الأجر تدريجيا إلى درجة يستحيل معها مواصلة العمل .. فرأى أن يعدل عن خطة الاستئجار إلى خطة أخرى قائمة على أساس اقتصادي .. لماذا لا يجعلهم شركاء له .. وهذا هو ما حدث فعلا .. لقد اتفق مع زعميي العصابتين على أن ينقدهما مرتبا شهريا ثابتا للإنفاق منه وسد الحاجات الضرورية . أما ما بقي من مبالغ الفدية فيودع بنكا معينا حتى إذا انقضت ثلاث سنوات وزع الرصيد بالتساوي بين الأفراد .. لقد كان عددهم سبعة قبل حضورك ..

اما الآن فلم يبق منهم إلا اثنان .. وهذا معناه ان الرفيق الكبير وصاحبه "كيرلي ايبولينو" سيقتسمان الرصيد معا على قدم المساواة.. فموت هؤلاء الافراد كان نعمة كبيرة على الرفيق الكبير وصاحبه اللذين لا يزالان على قيد الحياة لأنهما سيصبحان الوريثين الوحيدين للغديات المتراكمة التي بلغت عشرين مليوناً من الدولارات.

فابتسم "لوبين" وقال :

- هذا إذا بقيا على قيد الحياة .. ولكن أين "كيرلي ايبولينو" ؟ إنني لم اعثر عليه بعد.

- لقد سمعت أنه في بتسبرج ولست أدري الحقيقة .

وابتسم "لوبين" وقال في نفسه : يا لسخرية الأقدار .. ! لقد جئت هذه البلاد لأقضي على الرفيق الكبير فإذا بي أخدمه عن غير قصد بتخلصه من شركائه في الميراث .. ! ليت شعري هل خطر ببال "فالكروس" وهو يستنجد بي اني سأخدم بعلمي غرضين متناقضين : العدالة .. والجريمة .. !

التفتت "فاي ادواردس" إلى "لوبين" وقالت :

- أتريد أن تعرف شيئاً آخر ؟

- بل أشياء كثيرة .. يمكنك أن تقول لي من هو الرفيق الكبير .

فهزت رأسها وقالت :

- لا يمكنني .

- ولكنك قلت إنك سترشدينني إليه .

- بل قلت إنني "أظن" أن في وسعي أن أرشدك إليه .. إنني لا أزال

مترددة .. لقد وعدته بأن أكتفم اسمه عن كل إنسان .

اشعل "لوبين" سيجارة جذب منها بضعة أنفاس ثم قال :

- لنفرض اني قابلتك صدفة وانت مع الرفيق الكبير فاستنتجت أن

هذا هو صاحبي المنشود دون أن ترشدينني أنت إلى ذلك.. فهل يثور

عليك ضميرك ؟

- لا بالتأكيد .. لقد وعدته بالا اشي باسمه وهذا كل ما هنالك .
- شكرا لك .. اني راض إذن بان ترشدني إلى مكان يتردد عليه
الرفيق الكبير .. وليكن في هذا المكان مائة شخص او ألف فإني لن
اعجز عن تمييزه من بينهم .
فحنت رأسها وقالت :

- سأفعل .

ثم اقلت بسيجارتها من نافذة السيارة وقالت في صوت هادئ ثابت:
- لقد سمعت عنك فور وصولك .. وكنت أتمنى ان اراك ، فلما رايتك
لم أعد أعبا بشيء في الدنيا .. أصبحت أنت في عيني الدنيا بأسرها ..
لقد انتظرتك طول حياتي فهل أتخلى عنك او أتردد في امر يتصل
بك.. لقد كانت حياتي جدياء أما الآن ...

كان "لوبين" في حيرة من امره وهو يصغي إلى هذه الكلمات ! لم يكن
في إمكانه ان يلقي بذراعيه حول عنقها ويجذبها إلى صدره وهناك
في انجلترا فتاة أخرى تنتظر عودته بفروغ صبر .. ولم يكن في إمكانه
ايضا ان يقول لها إنه ليس خلي القلب .

ولكنها لم تكن تنتظر منه جوابا .. كانت كأنما تخاطب نفسها بهذه
الكلمات، فما انفرجت عنها شفتاها حتى انطلقت ثانية بالسيارة وهي
تقول مغيرة مجرى الحديث :

- إن الرفيق الكبير معجب بك أشد الإعجاب .. ولشد ما كان يتمنى
ان يضمك إلى رجاله .. ولكنه كان يعلم ان العصابة ناقمة عليك لفتكك
ببعض أفرادها فاوصاني بان اترفق بك إذا وقعت في أيديهم وان
أحاول ان أحميك وأنقذك من نقتهم .. لقد كان يعتقد أنه سيجيء يوم
يتمكن فيه من ان يضمك إليه .

أوقفت السيارة في شارع "الكسجنون" وهي تقول :

- أين نلتقي ؟

- ومتى يكون هذا اللقاء ؟

- إنني اعتقد أنني سأتيك ببعض الأنباء بعد ساعتين أو ثلاث .

ففكر "لوبيين" برهة ثم قال :

- اتعرفين مطعم "كريس بليني" في الشارع رقم ٤٥ .. ؟ قد لا أكون موجودا هناك ولكن في وسعك أن تتركي لي مع صاحب المطعم أي رسالة تشائين .. إنه رجل مأمون الجانب .

فوضعت يدها في رفق على كتفه وهي تقول :

- إلى اللقاء إذن .

رفعت وجهها إليه .. وفاح في شعرها العطر المسكر، وسرت في أوصاله نشوة ثملة .. ومال فوقها "لوبيين" وقبلها ..

همست الفتاة وهي تقول في صوت رقيق :

- إلى اللقاء .

مشى "لوبيين" إلى الفندق وهو غارق في خواطره .

كان يفكر في هذه الفتاة الغامضة التي تخلت عن ماضيها وأولت ظهرها للرفيق الكبير خضوعا لغداء الحب .

ثم عاد يذكر الرفيق الكبير . ذلك اللغز الخفي الذي يتستر بالظلام دون أن يدري أحد من أمره شيئا . ولكن "لوبيين" سيكشف شخصيته في تلك الليلة .. فبعد ساعتين أو ثلاث ستحمل إليه أسلاك التليفون الرسالة التي يتلف عليها وعندها تضع الحرب أوزارها .

وبينما كان المصعد يشق طريقه إلى الطابق الأخير من فندق استوريا كان "لوبيين" لا يزال غارقا في هذه الخواطر .

وحين فتح باب المسكن رأى الأنوار مضاءة في جميع الغرف ولكنه لم يسمع صوت "فالكروس" يحييه كالاعتاد فقال في نفسه :- لا ريب أنه أقام في انتظار طويل فغلبه النوم وهو في مقعده .

دفع باب قاعة الاستقبال ودخل . وكانت مضاعة أيضا شأن بقية
الغرف .

شعر بحركة في ركن القاعة فظن أن "فالكروس" شعر بقدومه فنهض
لاستقباله ، ولكنه حين التفت رأى أن "فالكروس" لم يكن أحد الرجلين
الذين هبا لاستقباله !

رفع "لوبين" يده على عجل ليطفى نور القاعة فشعر في الحال بوخزة
اليمة في ذراعه .. ولأول مرة منذ ثلاث ساعات ذكر الرصاصة التي
أصابته كتفه .. ! لقد جعلت عضلاته متصلبة عاجزة عن سرعة
الحركة. فقبل أن تبلغ يده الزر الكهربائي كان هناك مسدس قد صوب
إليه . وسمع صوتا يقول :

- إياك أن تتحرك .. وإلا فالويل لك .. !

* * *

الفصل الرابع

التفت "لوبين" إلى الرجلين وقال :

- يا للمفاجأة السعيدة .. ! إنني أحب دائما أن استقبل اصدقائي على غير انتظار .. !

ولقد نطق بهذه الجملة في هدوء وقلة اكتراث ولكن أدهشه تهدج صوته .

القى نظرة إلى المقعد الكبير الذي اعتاد أن يرى "بيل فالكروس" جالسا عليه ، وقال :

- ولكن ماذا فعلتم بـ"بيل" ؟

فصاح الرجل البدين :

- من هو "بيل" ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- إنني أسف .. لا تهتما بما أقول .. "بيل" مجرد اسم خيالي .. ولكن لا داعي لأن تذكر لي اسمي كما .. فانت بضخامتك لابد أن تكون "هاردي" وصاحبك الضئيل الهزيل لابد أن يكون "لوريل" .. ! مرحبا بكما يا "لوريل" و"هاردي" .. لقد رأيت كثيرا من افلامكما .. هذا اللقاء فرصة سعيدة .

فتبادل الرجلان نظرة غيظ وقال الذي نعته "لوبين" بأنه "لوريل" :

.. إنه مجنون . لابد أن يكون مجنونا .. !

ولقد سمع "لوبين" عشرات من الناس ينعتونه بالجنون فكان لا يحفل بما يقولون .. أما الآن ولأول مرة فقد أدرك أنه مجنون حقا ..

فلو لم يكن مجنوننا لما دخل المسكن دون أن يتخذ أية حيلة . لو لم يكن مجنوننا لرابه رؤية الانوار مضاعة في جميع الغرف . ولكنه كان مجنوننا .. وكان منهكما في التفكير بسبب المقابلة المنتظرة بينه وبين الرفيق الكبير . وجعل يتأمل الرجل في اهتمام .

وتقدم "هاردي" إلى وسط الغرفة ودار حول المائدة وشرع يفتش "لويين" فجرده من مسدسه ورماه إلى صاحبه ثم وضع مسدسه الخاص في جيبه وهو يقول في صوت اجش :

- والآن ما اسمك .. ؟

فقال "لويين" في صوت مرح :

- إنهم يسمونني "رودلف فالنتينو" .. فما اسمك أنت .. ؟

فقطب الرجل البدين جبينه وقست عيناه وقال مزجرا :

- إنك تعرفنا بالتأكيد .

- لم أتشرف بعد بمعرفتكما .. لقد خمنت أنكما "لوريل" و"هاردي"

ولكن يظهر أنني كنت مخطئا .

- إنني ادعى "كيتري" .. وهذا هو البوليس السري "بوناشي" .. إننا

من رجال البوليس .. فهل أنت راض .. ؟

وكان الرضاء أقل ما يمكن أن يوصف به شعور "أرسين لوبين" في هذه اللحظة فما خطر له عند دخوله الغرفة أن هذين الرجلين من الشرطة .. بل ظن أنهما من رجال العصاة جاءا ليفتكا به . وكان يتوقع ما بين لحظة وأخرى أن يرى سيلا من النار ينهمر من المسدسات ليرديه قتيلا .

نظر "لويين" إلى حذائي الرجلين الضخمين وقال :

- لقد خمنت هذا .. إن الحذاء الضخم هو بطاقة رجال البوليس .

إنني سعيد بقدومكما فلا شك أن رسالتي بلغتكما ؟

- أية رسالة .. ؟

- الرسالة التي دعوتكما فيها إلى الحضور .

فضاقت عينا "كيتري" وقال :

- هل أنت صاحب هذه الرسالة ؟

- بكل تأكيد .. لقد كنت مشغولا فعهدت إلى صديق لي بان يؤديها

بالنيابة عني .

فهز الشرطي الضخم رأسه وقال :

- هذا بديع .. ! ولماذا أردت أن تستدعينا ؟

لم يكن "لويين" في الواقع قد أنفذ إليهما رسالة كما ادعى ولكنه تعمد أن يقول ذلك ليستدرجهما إلى الحديث حتى يتبين الحقيقة .

ولكن من الذي وشى به وارشد البوليس إلى هذا المسكن .. ؟ "فاي

ادواردس" ؟ ولكنها لا تعرف مخبأه .. ؟ سائق السيارة الذي أركبه يوم

مصرع "بابيلوس" .. ولكن كيف عرف السائق المخبأ وقد حرص "لويين"

على تضليله ؟

وعاد "كيتري" يقول مرددا سؤاله :

- لماذا استدعيتنا .. ؟

- لقد ظننت أنه يهمكما أن تعرفا نبا عن الرفيق الكبير .

فقال الشرطي في شيء من الدهشة :

- حقا .. !

ثم استحالت دهشته غضبا وصاح في صوت مدو كالرعد :

- ايها الكذاب القذر .. هل تهزأ بي .. ؟ لقد قال صاحب الرسالة
التليفونية : "إنني الرفيق الكبير .. ستجدون "أرسين لوبين" في الطابق
الذي يشغله مستر "فالكروس" في فندق استوريا ..

عليكم به فقد ضقت به ذرعا ..

فهز "لوبين" رأسه وقال :

- لابد انه كان سكران .

ولكنه عرف أن الذي وشى به هو الرفيق الكبير .. ولكن كيف اهتدى
إلى مخبئه .. !

كان "كيتري" يحدق إلى وجه "لوبين" فقال بغتة :

- لقد عرفتك .. أنت "أرسين لوبين" .

فتمتم "لوبين" قائلا :

- اهنتك أيها الأخ . إنك دقيق الملاحظة متوقد الذكاء فلم يرق هذا

المزاح في نظر الشرطي واحمر وجهه غضبا وصاح قائلا :

- امزح ما شئت فبعد قليل سيجيء دوري في المزاح .. اولى بك أن

تجيب عما تسأل عنه في صدق وصراحة قبل أن يستولي علي
الغضب.

حنى "لوبين" رأسه دون أن يتكلم . كان يفكر في مصيره ومستقبله ..

أتكون هذه هي النهاية .. ؟ اقضي عليه بأن يختتم حياته بهذه الهزيمة

السخيفة ؟ لقد نجا عشرات المرات من شرطة يعدون أنكى قوم في

العالم فهل يقع فريسة سهلة بين أيدي هذين الغبيين .. ؟

وتكلم "لوبين" قائلا:

- وما الاسئلة التي تريد أن توجهها إلي ؟

فصاح "كيثري" قائلا :

- أين ذلك المدعو "فالكروس" ؟

- لا أدري .

وكان "لوبيين" صادقا في هذا الجواب .

وقبل أن يدري ما حدث كان "كيثري" قد رفع قبضته الضخمة وسدد إلى فكه لكمة جعلته يترنخ ويصطدم بالجدار خلفه .

صاح "كيثري" للمرة الثانية :

- أين "فالكروس" ؟

للمرة الثانية اجاب "لوبيين" قائلا :

- لا أدري !

ولكنه عقب بقوله :

لقد رأيته آخر مرة في قفص القروء بحديقة الحيوانات متنكرا على هيئة رجال البوليس السري !

وللمرة الثانية ارتفعت يد "كيثري" ولكمت "لوبيين" فاستند المسكين إلى الباب خشية السقوط إذ كان على غاية من الإعياء بسبب ما نزف الدماء .

- قلت لك أين "فالكروس" ؟

هز "لوبيين" رأسه دون أن يتكلم لأن سمعه كان يطن وعينه كانتا زائغتين وقوته تكاد تخونه . ولكن "كيثري" لم يكن يعرف معنى للرحمة فصاح في صوت غاضب قائلا :

- إذن فانت لا تنوي أن تتكلم .. ؟

فقال "لوبيين" في كلمات متقطعة :

- إن من عادتي إلا أتكلم مع القروء .. إذا كنت تعتقد أنك باللكمات
تصبح شرطيا سريا فانت بلا شك أنبغ رجال الشرطة .

احمرت عينا "كيتري" وصاح :

- إنني سأعرف كيف أرغمك على الكلام .

ورفع يده للمرة الثالثة ولكم "لوبين" في فكه فترنح وأمسك بالمائدة
لكيلا يقع على الأرض .

دنا منه "كيتري" وأخذ بتلابيبه وجعل يهزه هذا عنيفا . ولأول مرة
فطن إلى الدماء التي تلوث ثيابه وإلى الضمادات المعقودة حول كتفه
فقال في غلظة :

- كيف أصابك هذا الجرح ؟

- عضتني نملة !

أمسك "كيتري" بذراع "لوبين" المصابة ولواها خلف ظهره في عنف .
فاحس "لوبين" بال ألم شديد يسري في بدنه وشعر كأنما يوشك أن يفقد
الوعي وكان موقنا أن احتمالاه لن يطول ولكن رجال البوليس الأمريكي
ما كانوا ليرحموا إنسانا حتى ولو راوه مسجى على فراش الموت إذ
لابد من أن ينتزعوا منه الاعترافات باتباعهم الطريقة التي يطلقون
عليها "الدرجة الثالثة" .. وهي طريقة تقتضي منهم أن يضربوا المتهم
بهرأوة من المطاط وأن يرغموه على عدم النوم وأن يلووا ذراعه خلف
ظهره ولو كان جريحا تقطر منه الدماء .

وفي تلك اللحظة دق جرس الباب فقال "كيتري" مخاطبا زميله .

- انظر من الطارق .

خرج "بوناشي" إلى الردهة بينما ظل "كيتري" قابضا على ذراع

لوبيين" وهو يلويه خلف ظهره منتظراً دخول القادم .

ولم يكن القادم إلا المفتش "فرساك" !

وقف "فرساك" على عتبة الغرفة وأزاح قبعته إلى الوراء وأخذ المكان

بنظرة شاملة ولم يكن في وجهه ما ينم عن الدهشة أو العجب .

وقال في صوت بارد :

- ما هذا ؟

فاجابه "كيتري" في لهجة تدل على الزهو :

- لقد اقتنصنا "أرسين لوبيين" ولكن المدعو "فالكروس" غير موجود

الآن . ولكنني ساعرف كيف أرغم هذا الآخرس على الكلام . لقد شرعت

أجرب معه الدرجة الثالثة .

فصاح المفتش "فرساك" في صوت يدوي كالرعد :

- ماذا تقول ؟ شرعت تجرب معه الدرجة الثالثة ؟ يا لك من مجنون!

من علمك أن تفعل هذا هنا ؟

فازدرد "كيتري" ريقه وقال في ارتباك :

- ولكنه لا يريد أن يتكلم أيها الرئيس . كان يمزح ويهزأ بنا كان

الامر هزل لا جد . وكنت أريد أن اعرف أين ذهب "فالكروس" .

فقال "فرساك" متهكماً :

- وهل هذا هو ما تعلمته في إدارة البوليس .. يا لها من فكرة

بديعة! استمر في عملك يا "كيتري" . يمكنك أن تقلب المقاعد والموائد ..

يمكنك أن تدق الطبول وتقرع الأجراس .. يمكنك أن توقظ اهل الفندق

جميعاً وأن تستدعي مخبري الصحف حتى يشهدوا كيف يعذب

البوليس المتهمين ، يا لك من غبي . ! اهذا مكان يصلح للدرجة

انكمش "كيتري" الضخم العملاق امام كلمات رئيسه ، وصاح
"فرساك" قائلا :

- دع "لوبين" واستدع إحدى السيارات وانتظرنى عند الباب حتى
انزل إليك .. اما أنت يا "بوناشي" فانتظر "فالكروس" هنا حتى يحضر .
وكان "لوبين" شديد الإعجاب بما لـ "فرساك" من البأس في نظر
مرؤوسيه فقد خرج "كيتري" من القاعة وهو يتعثر في خطواته على
حين انزوى "بوناشي" في أحد الأركان .

نظر "فرساك" إلى "لوبين" طويلا وراى الدماء العالقة بثوبه ولكن
وجهه كان على عهده جامدا لا ينم عن شيء كأنه نحت من الجرانيت . !
ثم قال فجأة :

- تعال معي .

أخذ بذراع "لوبين" وقاده إلى المصعد فهبطا إلى الطابق الأرضي دون
أن يتبادلا كلمة واحدة .

كان "كيتري" في انتظارهما داخل السيارة فصعدا إليها وأمر المفتش
السائق بالمسير .

وبعد فترة من الوقت وقفت السيارة فخرج منها "فرساك" وقال :

- انزل هنا .. لقد وصلنا .

كان "لوبين" يتوقع ان يجد نفسه امام المركز العام لإدارة البوليس
ولكن "فرساك" التفت إليه وإلى "كيتري" وقال :

- هذا هو مسكني . !

ثم وجه حديثه إلى "كيتري" قائلا :

- يمكنك أن تنصرف يا كيتري على أن ترجع إلي في الصباح فإن لي حديثاً مع "لوبين" . طاب مساؤك .

ثم أخذ بذراع "لوبين" ثانية وقاده إلى داخل المنزل تاركاً وراءه كيتري مذهولاً يسائل نفسه عن السر في هذا السلوك الشاذ الذي ظهر به رئيسه .

وعندما دخل "لوبين" إلى المسكن أدهشه أن يجد قاعة الاستقبال عامرة بالكتب إذ المعروف عن رجال البوليس أنهم أقل الناس شغفاً بالاطلاع والقراءة وفطن "فرساك" إلى دهشة أسيره فقال :

- على المرء أن يطلب العلم ولو كان في أرذل العمر . إنني مولع بالأدب الإغريقي القديم . ألم تسمع من قبل عن شاعر يدعى "هوميروس" ؟ لقد سألت عنه موظفاً في إحدى الشركات فأكد لي أنه لابد أن يكون من زعماء العصابات في "شيكاغو" .

وعلق "فرساك" قبعته على الشماعة وتناول زجاجة من فوق المائدة وقال :

- هل لك في قدح من العصير . ؟

- شكراً لك .

وصب "فرساك" العصير في كأس صغيرة وقدمها إلى "لوبين" بينما أشعل سيجارة وأخذ يدخن في هدوء .

ثم قال فجأة في اقتضاب :

- إنك مجنون يا "لوبين" !!

فهر "لوبين" كتفيه وقال :

- السنا كلنا مجانين .. ؟

- لقد أردت أن أقول إنك أكبر المجانين .. ! لقد تحدثت إليك مرة
وانذرتك بما سيكون ولا شك أنك تعرف الآن ما يقضي به علي الواجب.
فصاح "لوبيين" في صوت غاضب :

- إنني أعرف .. ومن يقابل مساعدك "كيتري" لابد أن يعرف .. هيا أعد
الهراوة وجهاز آلات التعذيب .. !

فقال "فرساك" في صوت هادئ :

- لقد عرفنا بالتجربة أن "الدرجة الثالثة" أصلح وسيلة لانتزاع
الاعترافات من المجرمين .. ولكنني لا أحب أن استعملها مع جميع
الناس بلا استثناء .. لقد أتيت بك إلى بيتي لتتحدث في مسألة
أخرى .. ألم تقترب بعد من الرفيق الكبير . ؟

القي "فرساك" السؤال في صراحة دون موارد فآثر "لوبيين" أن يعمد
في جوابه إلى نفس هذه الصراحة فقال :

- إنني أنتظر رسالة تليفونية تصلني بعد ساعة .. وستكون هذه
الرسالة طريقي إلى الرفيق الكبير .

هز "فرساك" رأسه وجعل يتفرس برهة في وجه "لوبيين" ثم قال : - لن
أسالك كيف بلغت في أبحاثك هذه المرحلة .. ولن أسالك عن اسم
الشخص الذي سيأتيك بهذه الرسالة .. إنني أعرف أنك داهية أريب .

ساد الصمت برهة ثم مد "فرساك" يده في جيبه وأخرج مسدسه وهو

يقول :

- إن للمسدسات نفعا عظيما في مثل هذه المعارك فلو لم يصبك هذا
الجرح الذي في كتفك لما استحال عليك أن تتخلص من "كيتري"
وتبوناشي .

ولوح بمسدسه وهو يقول :

- ولو كان هذا المسدس في يدك الآن لعرفت كيف تتخلص مني .

ثم وضع المسدس على المائدة في غير اكتراث .

كان المسدس على قيد ياردينين أو ثلاث من قبضة "لوبيين" فلو أنه شاء لما تعذر عليه أن يختطفه ، ولكنه بدلا من ذلك تناول كأسه ورشف منه جرعة وهو يقول :

- "فرساک" .. أتريد أن تلعب معي لعبة القط والفار ؟ .

استرسل "فرساک" يقول كأنما لم يسمع هذه الجملة :

- لو أنك اختطفت هذا المسدس الآن لأوقعته في مازق حرج لا ادري كيف الخلاص منه لا سيما بعد أن أتيت بك إلى بيتي وأمرت "كيتري" بالانصراف فإن اللوائح تحرم على رجال البوليس أن يذهبوا بالمتهمين إلى دورهم . وفضلا عن هذا فقد كان ينبغي أن امر "كيتري" بالبقاء لينضم إلي إذا خطر لك أن تتخلص مني .. فإذا حدث الآن أنك هربت فلن يصفح عني رؤسائي ولن استمر في منصبي يوما واحدا .. الست معي في ذلك يا "لوبيين" ؟ .

لبث "لوبيين" مكانه صامتا لا يتكلم وهو يدخن سيجارته .

ونفض "فرساک" واقفا ومشى إلى ركن الغرفة وفتح دولابا صغيرا قائما هناك ليأتي بصندوق السجائر .

كان المسدس لا يزال على المنضدة في متناول يد "أرسين لوبيين" وكان "فرساک" موليا ظهره نحوه لا يلتفت إليه .. فلو أن "لوبيين" مديده واخذ المسدس لما رآه "فرساک" .. ولو رآه لاستحال عليه أن يمنعه .

رجع "فرساک" إلى مقعده وكان المسدس لا يزال في موضعه على

المنضدة فقال يخاطب "لوبين" :

- حقا إنك رجل شريف .

تكلم "لوبين" للمرة الأولى فقال :

- لنفرض أنك اقتنصت الرفيق الكبير فهل لذلك فائدة ؟ ليس في نيويورك من رآه أو عرفه فكيف تثبت ضده التهمة ؟ من أين لك الشهود الذين يقسمون بأن هذا هو الرفيق الكبير ؟

فقال "فرساك" في صوت ذي نبرة كأنها حد السيف :

- إنني لست في حاجة إلى الشهود .. إذا جاءني رجل مثلك وقدم إلي شخصا وقال : "هذا هو الرفيق الكبير" فقد كفاني هذا برهانا قاطعا .. إنني أومن بكل كلمة ينطق بها رجل مثلك .. وإذا ما وقع الرفيق الكبير في يدي عرفت كيف أنتزع منه عترافا كاملا .. إن "الدرجة الثالثة" لم تخلق عبثا .

أطفا "لوبين" سيجارته في المنفضة وقد سرت في عروقه دماء جديدة .. وخيل إليه - على الرغم من قوته المنهوكه - أنه أصبح أهلا للمقاتلة .. ودوت في أذنيه طبول الحرب، وذهب عنه هذا الضعف الذي كان يشعر به حتى لقد خيل إليه أن الدماء التي نزلت من جرحه جددت نشاطه ولم تنهكه .

كان يشعر في هذه اللحظة بأنه ليس أهلا لمقاتلة الرفيق الكبير فحسب . وإنما لمقاتلة عشرات من أمثاله .

نهض واقفا وتناول المسدس قدسه في جيبه وقال مخاطبا "فرساك" :

- شكرا لك .. سأعود إليك في الساعة العاشرة صباحا .. مع الرفيق

الكبير أو بدونه .. !

فقال "فرسك" :

- إلى اللقاء إذن.. وأرجو لك التوفيق. وبعد دقائق كان "أرسين لوبين" يغادر البيت و"فرسك" يوصد الباب خلفه .

* * *

لم يكد "لوبين" يدق الجرس حتى فتحت كوة صغيرة في الباب ظهر خلفها "كريس بليني" فعرف زائره على الفور واستقبله في ترحاب ملموس :

- ادخل يا مسيو "لوبين" .. إني سعيد بأن أراك مرة أخرى. ومشى أمامه صوب القاعة فقال له "لوبين" :

- هل لديك أحد ؟

فهز "كريس" رأسه وقال :

- إن الشيء الذي يحيرني هو بقاءك حيا حتى اليوم .

كان "كريس" وهو يتكلم يتظاهر بعدم الاهتمام والمرح . ولكن لم يخف على "لوبين" أن نبرات صوته تنم على قلقه وانزعاجه فقال له :

- كن مطمئنا .. إن هذه الإصابة لن تقتلني .. قال الطبيب إنني قد أصاب بحمى خفيفة .. وهذا هو الشر. الوحيد الذي أنزلته بي هذه الرصاصة .

وفي هذه اللحظة دق التليفون فانبعث "لوبين" واقفا وهو يقول :

- اظن أن هذا النداء لي ..

تناول السماعة ووضعها على أذنه فسمع صوتا خشنا يقول :

- هالو .. أهذه أنت يا "ماييل" ؟

فقال "لوبين" في حلق :

- لا .. إنني لست "مابيل" .. وإنني أرجو إذا عثرت عليها أن تغمد

خنجرها في صدرك !

ورد السماعه إلى مكانها في الوقت الذي كان فيه مستر "بانج" يسب ويلعن عند الطرف الآخر من السلك .

رجع "لوبين" إلى مقعده في خطوات بطيئة متراخية تدل على الإعياء إذ كان مفعول الحمى قد بدأ يتحرك فضلاً عن الصدمة العصبية التي أصابته حين خاب رجاؤه في الحديث التليفوني، وبعد عشر دقائق دق الجرس مرة ثانية فنهض واقفاً ، وقد تجدد نشاطه ، ولما تناول السماعه سمع صوتاً نسائياً يقول :

- إنني "فاي" .

ووثب قلب "لوبين" في صدره واشتدت قبضته على السماعه والصقها بأذنه بشدة كأنما يخشى أن تفلت منه الكلمات .

قال "لوبين" يسألها :

- ما وراءك من الأنباء ؟

- لقد بحثت عنه طويلاً فلم اهتمد إليه بعد .. ولكنني تركت له أكثر من رسالة وأغلب ظني اني ساراه الليلة ولو لبثت ساهرة حتى الصباح .

- إذن ساقظ في انتظارك هنا .

فقالت الفتاة في رفق :

- يحسن بك أن تنشد شيئاً من الراحة

كان صوتها موسيقياً عذباً فياضاً بالحنان والرحمة .

وأجابها "لوبين" بقوله :

- لن تطيب لي الراحة إلا إذا اهتديت إليه .

ولما رجع إلى مقعده قال له "كريس" :

- إنك بادي الإعياء فلم لا تنام قليلا ... ؟ إن لدي فراشا في الطابق الأعلى .

- ومن يلبي التليفون إذا استدعاني ؟

- إن نومي خفيف فكن مطمئنا .

تردد "لوبين" قليلا ولكنه كان يشعر بمسيس الحاجة إلى الراحة .
وفضلا عن هذا لم يكن في وسعه أن يعمل شيئا إلا إذا بلغته رسالة
"قاي ادواردس" فلن يفيده شيئا بقاؤه مستيقظا .

* * *

استيقظ "لوبين" في الصباح والشمس تغمر الأرض "وبليني" واقف
عند رأسه يناديه .

فلما فتح عينيه قال له الإيطالي :

- إنك مطلوب على التليفون .

فنتظر "لوبين" في ساعته فوجد أنها تشير إلى الثامنة صباحا ،
فنهض مسرعا ونزل إلى الطابق الأرضي وهو يحس أنه استرد نشاطه
وقوته .

ولما وضع السماعة على أذنه سمع الصوت الموسيقي المحبوب يقول :

- لقد سرني أنك نمت واسترحت .

قال "لوبين" مجيبا :

- لقد افادني النوم قوة و نشاطا وفي وسعي الآن أن أقاتل ثورا فما
لديك من الأنباء يا "قاي" ؟

- هل يمكنك أن تذهب في الساعة التاسعة إلى بنك "فاندريك" ؟ إنني

اعتقد أنك ستجد هناك من تبحث عنه .

فوثب قلب "لوبين" فرحا ولبث صامتا برهة خاطفة ثم قال :

- ساكون هناك .

- وسأوافيك في الموعد .. فإلى اللقاء .

جلس "لوبين" إلى مائدة الفطور فتناول طعامه في شهية وشرب قححا كبيرا من القهوة ثم طلب رقماً معيناً هو رقم ذلك السائق الذي اركبه سيارته يوم مصرع "بابلوس" .

وقال يخاطب السائق تليفونيا :

أهذا أنت يا "باستيان" ؟ ألم تقل إنك على استعداد لأن تخدمني إذا

احتجت إليك ؟

فصاح السائق في ابتهاج قائلاً :

- إنني لأجلك مستعد لأن أقدم على أي شيء .. لن أتردد حتى ولو

سألتني أن أسرق لك البنك الدولي .

فأبتسم "لوبين" وقال :

- وسأنتقد أجرا طيبا .. فهل لك في مقابلتي بعد ربع ساعة عند

ملتقى الشارع رقم ٤٤ بشارع "كسنجتون" ؟

وكانت السيارة في انتظاره في المكان المحدد فلما رآه السائق مقبلا

هتف به :

- أسرع بالصعود قبل أن يفطن أحد إلى هذه الأربطة والضمادات .

صعد "لوبين" إلى السيارة وهو يقول للسائق :

- أذهب بي إلى بنك "فاندريك" ؟

ولما بلغت السيارة باب المصرف قال "لوبين" :

- قف بنا في اقرب مكان من المدخل .. اني لن انزل الآن من السيارة ولكن إذا رايتني اغادرها فلا تتحرك من مكانك ولا توقف المحرك وكن مستعدا للفرار فور رجوعي . واعلم اني ساعود ومعى شخص آخر ساذكر لك اسمه فيما بعد .

فهز السائق رأسه علامة الموافقة .

اشعل "لوبين" سيجارة واخذ يدخن وهو غارق في خواطره وافكاره . كان باب البنك لا يزال مغلقا إذ لم يحن بعد موعد فتحه ولكن عينيه كانتا ما بين لحظة وأخرى تستقران على الباب في قلق ولهفة وهو يسائل نفسه عن السر الذي سيتكشف عنه هذا الانتظار .

اتراه سيظفر حقا بالرفيق الكبير ؟ أم سيضطر إلى البر بوعده فيعود إلى "فرسك" ويقدم إليه يديه ليضع فيهما القيد الحديدي ؟ اتراه سيتمكن من إنجاز مهمته وأداء واجبه نحو العدالة بالقبض على الرفيق الكبير الذي غمر المدينة بالجثث والدماء أم سينكص على عقبيه مخذولا مقهورا ؟

بدأت الساعة ترسل دقائقها التسع ، ونظر "لوبين" في ساعته كأنما لا يصدق ما تسمع أذناه .

تحرك حارس الباب وأخذ يفتحه ليستقبل العملاء .

توترت أعصاب "لوبين" وجرت الدماء ساخنة في عروقه حين شعر باقتراب اللحظة الحاسمة . واخذ يقول في نفسه : ليت شعري من هو الرفيق الكبير ؟ نعم .. من هو الرفيق الكبير ؟ من هو ذلك الرجل الذي جمع من الدماء عشرين مليوناً من الدولارات ؟ وما الذي يدعوه إلى المجيء للبنك ؟ اتراه قد أودعه هذه الملايين ؟

جعل "لوبيين" ينظر في ساعته ويتفحص وجوه العشرات من الناس الذين هرعوا إلى البنك عندما فتحت أبوابه .

كانت هذه اللحظة حاسمة في تاريخ حياته .. ومجده .. وانتصاراته .. وماضيه .. كلها معلقة بما ستتكشف عنه هذه اللحظة .

وعلى حين فجأة رأى صديقه "فالكروس" مقبلا فنسي كل شيء عند هذا ونزل من السيارة ودنا منه ووضع يده على كتفه في رفق فدار هذا على عقبه ، ولما رأى "لوبيين" امامه اتسعت عيناه دهشة وهتف قائلا :
- اهذا انت يا "لوبيين" .. ؟ ما كنت اتوقع ان تستيقظ مبكرا في مثل هذه الساعة ؟

فأبتسم "لوبيين" وقال :

- بل إنني لم اكد اذوق النوم .. ! ولكن أين كنت ؟

- ألم تظن إلى رسالتي ؟ لقد تركت لك رسالة على رخامة الموقد .

فهز "لوبيين" راسه وقال :

- كانت هناك أسباب حالت دوني والبحث عن رسالتك ولكن تعال

معي إلى سيارتي فأني لا أريد أن يراني أحد في هذا المكان .

واخذ بذراع "فالكروس" وقاده إلى السيارة .

وطلب إليه "لوبيين" الانتظار وعدم الانطلاق بالسيارة إذ لم يحن أوان ذلك بعد .

عاد "لوبيين" يسأل "فالكروس" بقوله :

- ولكن أين كنت ؟

- لقد سافرت إلى بتسبرج بالطائرة لعمل فجائي استدعى ذلك ،

وتناولت العشاء مع صديق لي ثم عدت الآن بالطائرة .

- الم تذهب إلى الفندق بعد ؟

- نعم .. لم اذهب .

- هذا من حسن حظك .. فإن في انتظارك هناك شرطيا يريد أن

يسالك عن السبب الذي جعلك تؤوي تحت سقفك رجلا خطرا مثلي

فبدت امارات الدهشة على وجه "فالكروس" وقال :

- يا إلهي .. ولكن كيف عرفوا أنك ..

- لا ادري .. وكل ما هنالك أن الرفيق الكبير اتصل بهم تليفونيا

وأرشدهم إلى مخبئي، وأوصاهم بي خيرا قائلا : "إنه ضاق بي ذرعا .."

ويلوح لي أن القنوط أدركه إذ رأي أفلت من عصابته مرة بعد مرة ،

فارادان يغري بي البوليس على يكون أسعد حظا .. ولكن المهم الآن هو

إخراجك أنت من هذه الورطة .. إذا سئلت عني فقل إنك لا تعرف شيئا،

وأن من المحتمل أنني حضرت إلى السكن بقصد السطو .

- ولكن ماذا يكون من أمرك أنت ؟ ألا تنوي أن تهرب ؟ فارتسمت

ابتسامة خفيفة على شفتي "لوبيين" وقال :

- بل سانتظر حتى انظر بالمليون دولار التي وعدتني بها .

ثم انشأ يحدثه بما وقع في الليلة الماضية واختتم حديثه بقوله :

.. وكان المفتش "فرساك" قد أطلق سراحي على شرط أن أتيه بالرفيق

الكبير . وقد جئت إلى هذا البنك لأن "فاي ادواردس" سترشدني إلى

الرفيق الكبير .

فصاح "فالكروس" قائلا :

- "فاي ادواردس" سترشدك إلى الرفيق الكبير .. ! إذن فهي ستتخلي

عنه بعد أن انتشلها من وهدة الفقر والفاقة كما ذكرت لك! ساد الصمت

برهة ثم قال "فالكروس" :

- ما أعجب النساء .. ! هذه امرأة تتسلط على المدينة بأسرها وتنشر فيها الرعب والفزع وياتمر بامرها عشرات من الرجال يغرقون المدينة في الحديد والنار تلبية لإشارة من يدها .. ومع ذلك تتخلى عن هذا المجد ؟ لماذا ؟ لأنها أحبت رجلا مثلك .. مغامرا جسورا . لا اسم له ولا وطن .. ! حقا إن المرأة لغز غامض .. !

وفي تلك اللحظة مر باعة الصحف ينادون ويصرخون .. فابتاع "فالكروس" إحداها وما كاد ينظر فيها حتى هتف قائلا :

- انظر .. ها هو ذا الشخص السادس والأخير قد قتل !

فقد نشرت الصحف بالخط العريض أن أحد زعماء العصابات المدعو "كيرلي ايبولينو" المقيم في مدينة بتسبرج قد قتل في الليلة الماضية بيد شخص مجهول .

واسترسل "فالكروس" قائلا :

- الآن .. انتهت مهمتك العظيمة وصار المليون دولار حقا لك . لقد استدعيتك إلى هذه البلاد لتنتقم لمصرع ابني بأن تقتل ستة من زعماء العصابات . وقد قتلت خمسة منهم وها هو ذا السادس قد قتل أيضا فليس ثمة ما يدعوك إلى البقاء . إن في بقائك خطرا على نفسك وأنت تعلم أن البوليس يجد في أثرك . فعد إلى بلادك .. بادر إلى الفرار .. وخذ معك المليون دولار .

فقال "لوبين" معترضا :

- والرفيق الكبير . ؟

- ولكنك تعلم أنني لم أسالك أن تقتل الرفيق الكبير . ! إنه شخص لا

خطر منه .. إنه ذهن جبار ليس إلا .. يدير ويحرك ويضع الخطط ..
ولكن بمفرده لا يستطيع ان يعمل شيئاً .. إنه كالطير إذا قص جناحاه
عجز عن الطيران .. وقد قص الجناحان بمصرع زعماء العصابة الستة
فوجود الرفيق الكبير وموته سيان .. إنك أنت الذي ضممته إلى القائمة
على غير رأيي فلن اطالبك بقتله .. سأتيك الآن بالمليون دولار فخذها
واهرب وإلا وقعت في أيدي البوليس .

نزل "فالكروس" من السيارة ومشى متجها إلى درج البنك .
أخذ "لويين" يتابعه بعينه وقد ارتسمت فيهما نظرة عجيبة .. نظرة
تدل على أن فكرة غريبة قد وثبتت إلى ذهنه .
وفي هذه اللحظة وقفت سيارة عند الإفريز وخرجت منها "فاي
ادواردس" .

لم يكد "لويين" يراها حتى فتح باب سيارته وقفز إلى الأرض .
وإذ ذاك رأى أن الفتاة لم تكن تنظر إليه وإنما كانت مرسلة بصرها
إلى "فالكروس" .

ولم يكن هناك ما يدعوها إلى الكلام .. ولم يكن هناك ما يدعوها إلى
توجيه الأسئلة . ! كانت هذه النظرة أفصح من كل سؤال وجواب !

"فالكروس" هو الرفيق الكبير !

ولم تكن الفتاة قد فطنت بعد إلى وجود "لويين" .. كانت لا تزال تنظر
إلى "فالكروس" . هذه النظرة الناطقة . الفصيحة البليغة . هذه النظرة
التي جمعت كل ما يبغيه "لويين" .

وارتفع الستار وانكشف الماضي كله .

تدفقت إلى ذهن "لويين" الحقائق القديمة والاسماء

والكلمات..والحوادث واخذت تدوي في اذنيه وتروح وتجيء حتى
انتظمت سلسلة منسقة متصلة الحلقات ليس لها إلا معنى واحد هو
أن "فالكروس" هو الرفيق الكبير .

الرفيق الكبير هو الذي وشي به إلى البوليس وانبأهم بمخبئه ..
ومن يعرف هذا المخبا غير "فالكروس" ؟!

لقد ذكرت له "فاي ادواردس" أن "كيرى ايبولينو" يقطن مدينة
بتسبرج .. وها هو ذا "فالكروس" يذهب إلى بتسبرج بالطائرة ويعود
منها .. وها هي ذي الصحف تعلن إلى الناس مصرع "ايبولينو" !
إن فقد ذهب "فالكروس" إلى بتسبرج ليقفل "ايبولينو" لأنه كان
الوحيد الذي لا يزال حيا بين زعماء العصابة فإذا مات ألت العشرون
مليوناً كلها إلى "فالكروس" وحده .

وهذا إذن هو السر في أن الرفيق الكبير أوصى "فاي" بأن تنقذ
"لوبين" وتحميه كلما وقع بين أيدي العصابة معللاً ذلك بأنه سيتمكن
في أحد الأيام من ضمه إليه . أما التعليل الحقيقي فهو أنه أراد أن
يبقى على "لوبين" حتى يتم له الإجهاز على شركائه في الميراث واحداً
بعد الآخر .

والآن وقد تم هذا الإجهاز ولم يبق إلا "ايبولينو" فقد وشي به إلى
البوليس وتولى هو بنفسه التخلص من غريمه "ايبولينو"

وحكاية الابن الذي اختطفته العصابة وقتلته .. ورغبة "فالكروس"
في الانتقام لولده .. ! إنها إذن حكاية ملفقة لا أصل لها ابتكرها
"فالكروس" ليتخذ منها حجة في الاستعانة بـ"لوبين" .

وما فكر "فالكروس" في التخلص من "لوبين" والوشاية به عند

البوليس لولا ان اصر هذا على اكتشاف سر الرفيق الكبير والقضاء عليه مع من قضى عليهم من زعماء العصاة .

وهكذا انكشف الحجاب وتدفقت الحقائق الدامغة إلى ذهن "لوبين" .

ومنذ لحظات وثبت هذه الفكرة إلى دماغ "لوبين" ولكنه طردها ونفاها ولم يشأ ان يصدق ان "فالكروس" هو بعينه الرفيق الكبير .

أما الآن .. حين رأى تلك النظرة التي أرسلتها "فاي ادواردس" إلى "فالكروس" فلم يعد هناك مجال للشك .

كانت "فاي" لا تزال مسمرة في مكانها وهي تنظر إلى "فالكروس" الذي كان قد شرع يرتقي درج البنك .

وفجأة التفت "فالكروس" خلفه فرأى الفتاة لأول مرة .. ورأى النظرة التي في عينيها .. ثم رأى "لوبين" ورأى أيضا النظرة التي في عينيها !

وعرف في الحال أن أمره قد انكشف .

تبددت من عينيها أمارات الرقة وطيبة القلب وأرسلتا وميضاً مخيفاً كالشرر . وانقلبت سحنته وتقلصت عضلات وجهه حتى لقد خيل إلى "لوبين" أنه يرى هرة وديعة تنقلب نمرا مفترسا .

وعلى حين بغتة امتدت يد "فالكروس" إلى جيبه الخلفي .

وكذلك فعل "لوبين" .. ولكنه ما لبث أن أدرك غلطته . كانت يده اليمنى هي التي تحركت بحكم الغريزة . ولكنه نسي الجرح الذي في ذراعه والذي يجعل استعماله هذه اليد متعذرا .. فلما شعر بالآلم يمزق أوصاله رد يده عن الحركة ودفع يده اليسرى إلى جيبه .

وفي هذه اللحظة كان "فالكروس" قد أخرج مسدسه وأرسل منه طلقة ناريا مر إلى جوار أذن "لوبين" .

ودوى الطلق الثاني ولكن "لوبين" لم ير اتجاهه ولم يسمع منه إلا دويه .

أخرج "لوبين" مسدسه وأطلق رصاصة أصابت "فالكروس" فافلتت أصابعه المسدس وترنح وسقط على الأرض جرى إليه "لوبين" فاخذ بتلابيبه وجره إلى السيارة .

وإذ ذاك رأى "فاي" إدواردس .

كانت واقفة إلى جوار السيارة مستندة إليها بإحدى يديها أما يدها الأخرى فكانت موضوعة فوق صدرها وقد انبثقت خيوط من الدماء من بين فتحات أصابعها .

وعرف "لوبين" على الفور أين استقرت رصاصة "فالكروس" الثانية ! لم يشعر بالحزن فحسب وإنما خيل إليه أنه يختنق وأن أنفاسه احتبست وأن قلبه كف عن الخفقان .

وفي اللحظة التالية فتح باب السيارة والقى بـ "فالكروس" على المقعد كما تلقى الغرارة . ثم رجع إلى "فاي" فاحتواها بين ذراعيه في رفق وحملها إلى السيارة .

وكانت خفيفة كأنها طفلة ناعسة .. ولم يشعر حتى بالآلم الذي كان يمزق كتفه ووضعها على المقعد في رفق وحذر كأنها تمثال من الزجاج يخشى عليه أن ينكسر .

انطلقت السيارة بسرعة دون أن يجرؤ أحد من الجمهور المحتشد على التعرض لها .

ولكن رجال البوليس انطلقوا في أثرها بالموتوسيكلات والسيارات و"باستيان" ينهب الأرض ويطوي الطرقات كأنه في سباق إلى الموت لا

يعبا بإشارات المرور ولا يقيم وزنا لأوامر الكونستبلات .. يدور
وينعطف ويتلوى ويعرج حتى نجح أخيرا في تضليل مطارديه
والإفلات منهم .

وشعر "لوبين" بلمسة خفيفة على نراعه فنظر إلى الفتاة .
كانت قد نزعت قبعتها فتهدل شعرها على جبينها في خصلات من
الذهب . وكان في عينيها الجميلتين ظلال خفيفة ولكن وجهها لبث
هادئا ساكنا والشباب المتفجر منطبع على صفحته كأنما لم يكن
يفترسها الموت . ! أما انفراج شفتيها فيمكن أن يوصف بأنه شبح
ابتسامة !

وتكلمت قائلة :

.. لا تحزن .. ! لن أرافقك إلى النهاية !

فقال "لوبين" في خشونة :

- هراء ! إصابتك تافهة . ! وستشفين ! لكنه كان يعلم أنه كاذب .

وكانت هي أيضا تعرف ذلك .

هزت رأسها فتراقصت خصلاتها الذهبية وقالت :

- ليس هناك ما يؤلم ! إنني لا أتعذب !

وكانت مستندة إلى صدره في استسلام كأنها طفلة متعبة .

وأرسلت من صدرها تنهيدة خفيفة قالت :

- ما كنت أظن أنني ساموت الآن .

وعقد الحزن لسانه فلم يتكلم .

ثم قالت في هدوء :

- قبلني ثانية يا "لوبين" . !

فقبلها .

وجعلت الفتاة تتأمل وجهه كأنما تريد ألا تنسى خطأ واحدا من خطوط ملامحه .

كانت تبتسم . وكان في عينيها ومضات .

ورأها تستجمع أنفاسها لتتكلم ثم قالت في صوت خافت :

- وداعا .

ثم أغمضت عينيها وهي لا تزال تنظر إليه .

وضع "لوبين" رأسها في رفق على وسادة السيارة . ولم يحول بصره عنها ، ولكنه لم يكن يرى شيئا لأن العبرات حجبت عنه وجهها . وجه هذه الفتاة التي عاشت لأجله .. وماتت لأجله !

* * *

ظل "لوبين" ساكنا جامدا كأنما أدركه الموت هو أيضا .

وخيل إليه أنه يسمع إلى جواره حركة وصوتا . وكان هذا هو "فالكروس" وقد بدأ يتحرك ويتكلم .

قال "فالكروس" في صوت متقطع ينم عن الألم والرعب :

- إنني لا أريد أن أموت .. ! أنقذني .. أنقذني .. خذ كل أموالني واعد

إلي الحياة .. ! اذهب بي إلى الطبيب .. إن لدي عشرين مليوناً فخذها

كلها .. لا ابتغي إلا الحياة .. أنقذني .

فصاح "لوبين" في صوت غاضب :

- اصمت .. !

فعاد "فالكروس" يقول متوسلا :

- خذ ملاييني كلها . لست أريد إلا أن أعيش !

فضربه "لوبيين" بيده على فكه وهو يقول في وحشية :

- ويحك أيها المجنون .. ! اتظن أن ملايينك يمكن أن تعيد إلي ما
فقدت .. !

فانكمش المحتضر خوفا ولاذ بالصمت . فقد كان صوت "لوبيين" اشد
رهبة من الموت .

وحين وقفت السيارة امام بيت المفتش "فرساك" نزل منها "لوبيين"
وتقدم إلى البيت فالتقى "فرساك" عند الباب .

وأخرج "لوبيين" المسدس وقدمه إلى "فرساك" قائلا :

- لقد بررت بوعدي .. وهاك مسدسك !

فدس المفتش المسدس في جيبه وقال :

- ألم تعثر على الرفيق الكبير ؟

- إنه في السيارة .

فاشرق وجه "فرساك" وهمس قائلا :

- شكرا لك .

واسرع إلى السيارة وفتح بابها فتدحرجت جثة "فالكروس" عند
قدميه .

وهنا رأى "فرساك" شيئا آخر .. رأى جثة فتاة على المقعد .. فقطب
جبينه وجمد في مكانه .. ثم قال :

- من هذه ؟ ..

ولكنه لم يسمع جوابا لأن "لوبيين" كان قد اختفى !!

* * *

الخاتمة

كانت نيويورك بأسرها تتحدث عن "أرسين لوبين" .. !
أما في إنجلترا فكان المفتش "تيل" جالسا بين نفر من مساعديه وهو
يقول :

- لقد رجع إلينا "لوبين" !!

ثم يتنهد ويقول :

- نعم .. لقد رجع !

فيتنهد معه جميع مساعديه ويقولون :

- نعم .. لقد رجع !

فقد كانوا يعرفون معنى هذه العودة !

أما "لوبين" نفسه فكان جالسا في حديقة داره وسيجارتته بين شفتيه
وباتريشيا هولم إلى جواره وهي تقول :

- ولكنك لم تحدثني بشيء مما وقع لك في نيويورك ؟

ولم يسمع "لوبين" سؤالها .. لأنه كان في هذه اللحظة يعيش في
مكان يبعد عن لندن حوالي ٤٨٠٠ كيلو متر . ولم يكن يسمع إلا صوتا
واحدا .. صوتا يعلو على ضجة المركبات ودوي السيارات ..
وكان الصوت موسيقيا عذبا يردد في همسات لينة :
وداعا .. ! وداعا .. !

"تمت بحمد الله"

هذه فرصتك .. أرسل طلبك اليوم .. !

الروايات الكاملة .. والمعربة

للروايات البوليسية العالمية

أرسين لوبين

إدفع ثمن (٥) روايات واحصل على ٦

أخي القارئ العربي :

تحية وبعد،

هل سبق لك وسمعت عن روايات أرسين لوبين

نعم..

إنها أشهر الروايات البوليسية..

هذه فرصتك اليوم.. وليس غداً، إن دار ميوزيك تتيح لك هذه

الفرصة النادرة، لإقتناء جميع روايات أرسين لوبين.

نعم جميعها ومعربة !

ثمن النسخة الواحدة (٢) دولاران أمريكيان، وثمان (٦) ست روايات

(١٠) عشرة دولارات أميركية، وذلك تدفع ثمن (٥) خمس روايات

وتحصل على رواية إضافية مجانية.

ترسل الطلبات بموجب شيك على أي مصرف في لبنان وبيالدولار

الأمريكي، ودار ميوزيك لا تتحمل مسؤولية إرسال أي مبالغ نقدية

داخل الرسائل !

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وان يكون الشيك

مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : باسم

دار ميوزيك

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
				١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١

الإسم : _____

العنوان : _____

ص ب _____ المدينة : _____ الرمز البريدي : _____

الدولة : _____

مرسل طيه شيك بمبلغ _____ دولار أمريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.
سارع في إرسال طلبك !

- | | |
|----|--------------------------|
| ١ | أرسين لوبين بوليس أذاب |
| ٢ | أرسين لوبين بوليس سري |
| ٣ | الماسة الزرقاء |
| ٤ | أرسين لوبين رقم ٢ |
| ٥ | أرسين لوبين في السجن |
| ٦ | المعركة الأخيرة |
| ٧ | أرسين لوبين في موسكو |
| ٨ | أرسين لوبين في قاع البحر |
| ٩ | أرسين لوبين في نيويورك |
| ١٠ | أسنان النمر |
| ١١ | الميراث المشؤوم |
| ١٢ | أصبع أرسين لوبين |
| ١٣ | لصوص نيويورك |
| ١٤ | اعترافات أرسين لوبين |
| ١٥ | الإبرة المجوفة |
| ١٦ | الإنذار |